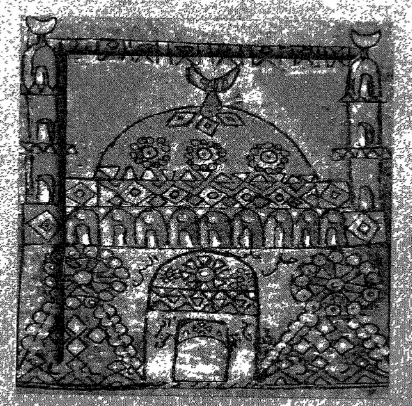






الاحتفالات الدينية

فى الواحات (باريس - القصر)

د. شوقى عبد القوى حبيب

نوفمبر

٢٠٠٠

• مكتبة الدراسات الشعبية (٥٤)
• سلسلة شهرية
• تعنى بنشر الدراسات المتعلقة بالفولكلور ونشر نصوص وسير الأدب الشعبى

• الاحتفالات الدينية فى الواحات
• لوحة الغلاف: رسوم من الثقافة الشعبية للواحات الغربية - مصر
• القاهرة: نوفمبر - ٢٠٠٠
• الطبعة الأولى

• المراسلات:
باسم مدير التحرير على العنوان التالى:
١٦ أ شارع أمين سامى قصر العينى
- القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١

هذا الكتاب

بطاقة هوية

البحث فى العادات والتقاليد الموروثة عند طوائف من الشعب المصرى، سواء فى شماله أو جنوبه، أو فى واحاته، له أهمية كبيرة جداً، فهو على الأقل يضىء لنا الشخصية المصرية فى جذورها البعيدة، وفى هذا تأصيل «للمصرية» وتعميق لمحتواها الإنسانى والتاريخى والفلسفى، كما أنه يربط البلاد ببعضها برباط أخوى .

بل إن هذه العادات وهذه التقاليد - التى تكشف عنها مثل هذه الدراسات - هى فى نظرى بطاقة الهوية للشعب المصرى، ولا شك فى أن الواحد منا - فى أى مكان - إذا التقى شخصاً يتكلم بنفس لغته فإنه ينجذب إليه، أما إذا رآه يتكلم بنفس لهجته فإن نوعا من الحمية يقوم بينهما يؤدى إلى علاقة متينة، أما إذا اكتشف أنه يمارس نفس عاداته ويؤدى نفس تقاليده ويؤمن بنفس معتقداته فحينئذ يحدث التلاحم بينهما، إذ يكتشف الواحد منا أنه أمام أخ شقيق ابن نفس التجربة ينتمى إلى نفس القوم .

ومن ناحية أخرى فإن البحث فى هذه العادات والتقاليد هو

بحث فى ثقافة اجتماعية عريقة يتعين علينا إحياءها تثبيتاً لملامحنا الأصيلة وهويتنا الاجتماعية .

والدكتور شوقى عبد القوى عثمان يقدم لنا فى هذا الصدد كتابين مهمين جداً ، هما : (الاحتفالات الأسرية فى بعض واحات الصحراء الغربية - باريس - القصر) ، و(الاحتفالات الشعبية بالأعياد والمناسبات الدينية والخاصة فى واحات الصحراء الغربية - باريس - القصر) ، أى أننا أمام دراستين ميدانيتن بقلم متخصص لابد من أن يكونا ممتعتين لكل قارئ مثلما أمتعتانى حقا ، لا سيما وأن الباحث هنا يتمتع بلغة سلسلة وأسلوب علمى متين البيان على درجة كبيرة من الوضوح مع الكثافة الفنية والعلم والخبرة الحياتية ، وإننا إذ نقدم هاتين الدراستين فى هذه السلسلة فإنما نضع الأمور فى نصابها ، لأن هذه السلسة قد أنشئت - فى الواقع - من أجل مثل هذه الدراسات التى هى فى صميم عمل هيئة تصور الثقافة ، وتمثل احتياجاً ثقافياً وعلمياً ملحاً .

نتعشم أن يجد قراؤنا فى هاتين الدراستين ما وجدناه نحن من متعة وفائدة وشكراً لكم .

خيرى شلبى

إهـــــــداء

إلى مـركـز دراسـات الفنون الشـعـبـيـة
الذى كـشف لى هذا العـالم الجـمـيـل
اللامـتـناهـى «عـالم المأثور الشـعـبى»
فملئت به شغفاً وهمت به حبا - فهو
جـذورنا الـضاربة فى أعـمـاق الزمـان
والمرآة التى نـرى فيـها أنفسنا ، جامـعا
بين أفـراد الـشـعـب فى تناغم خـلاق ،
مكونا عقل الأمة .

الفهرس

شكر وتقدير

إذا كان علينا أن نشكر أحدا على هذا العمل فكثيرون يستحقون الشكر والامتنان لما قدموه من يد المساعدة، ويجب على الإنسان أن يعترف بالجميل ويرده لأهله شاكراً لهم هذا الفضل فلولاهم لما كان هذا العمل .

أولاً :

السادة القائمون على الأجهزة التنفيذية، حيث قاموا مشكورين بتقديم التسهيلات الممكنة وذلك على مدى فترة طويلة جاوزت الخمسة عشر عاما، ولحسن حظ الباحث أن جميع أعضاء الجهاز التنفيذى يمثلون منظومة متناغمة كل فى موقعه يربطهم جميعا حب العمل وعشق المكان، ورغم تغير بعض أعضاء الجهاز التنفيذى، إلا أن هذا الحب والعشق لم يختل يوما فلهم منى جميعا كل الشكر والامتنان :

الدكتور / فاروق التلاوى

اللواء / عثمان شاهين

اللواء / سلمى سليم

الأستاذ / على أحمد سيد عبد الغنى

الدكتور / محمد رأفت

الدكتور / حسين سيف الدين

الأستاذ / إبراهيم محمد حسن

الأستاذ / إبراهيم خليل

المهندس / عبد الرحمن عبد المنعم

المهندس / أحمد أبو العلا

المهندس / فاروق النشوانى

الأستاذ / محمود البرعى

المهندس / عباس وهبة عديل

الأستاذ / محمد محمد محمدين

الأستاذ / محمد السباعى

ثانياً : حملة التراث، رواة المأثور، أصحاب الحكى الشيق والذاكرة الواعية والعين اللاقطة، والذين لم أشعر بينهم بالغربة للحظة واحدة فقد أسعدونى وساعدونى، فلولا كرمهم ما كان هذا البحث . وأجدها فرصة لكى أقدم الشكر لمن قدم العون - وحفظت مروياتهم فى أرشيف مركز دراسات الفنون الشعبية - لى ولمن سبقونى من زملاء أفاضل :

الحاج / باديس عبد المنعم أحمد عبد الرحمن

السيد / إبراهيم إسماعيل إبراهيم

الحاج / عمر عطية الله

السيد / مهدى سامى بربرى

السيد / حسن محمد حسين

السيد / محمد أحمد على

الحاجة / أم عمر مصطفى مهاود

السيدة / سعيدة خليل بشير (أم فريدة الريفى)

السيد / عبده محمد عبده

الأستاذ / منير عمر عطية الله

السيد / ثابت زايد دبكه

مهندس / عبد الرحمن عبد المنعم عبد الرحمن

الأستاذ / محمد إبراهيم كرار

السيد / علي عوض فوده

السيد / محمد عبد الصادق

المكس القبلى

الحاج / محروس ساسة برى

السيدة / خامدة ساسة برى

المهندس / فايز محمد سمعونى

الخارجة

أنيس محمد

أحمد حسن إبراهيم

القصر

الحاج / أحمد سنوسى خلف الله

الأستاذ / ماهر عز الدين يوسف

الأستاذ / رشدى منير الديناري

السيد / أبو بكر محمد عوض الله

السيد / صالح أحمد أبو بكر
الحاج / محمد محمدين خلف الله
السيدة / أمنة إمام سيد
السيد / حامد سيد حسن
الأستاذ / يوسف سنوسى خلف الله
السيد / حلمى سيد حنفى
الأستاذ / سعد أحمد أبو بكر
الحاج / محمود أحمد بكر
الحاج المرحوم / عثمان أحمد أبو بكر
الحاج / محمد متولى
السيدة / شريفة أحمد عمران
الجديدة
السيد / خضر سالم محمد
بلاط
السيد / منصور سنوسى منصور
بدخلو
السيد / نصر نصر محمد
القاهرة
الأستاذة / فوزية سعيد نسيم
ثالثا :
أعضاء مركز دراسات الفنون الشعبية

أ) الرواد الأوائل للجمع الميداني والذين بذلوا الجهد والكثير دون مقابل سوى عشق هذا العمل وهوى تراث مصر :

الأستاذ / رشدى صالح

الدكتور / أحمد على مرسى

المرحوم الأستاذ / محمد عدلى إبراهيم

الأستاذ / حسنى لطفى

الدكتور / صابر العادلى

الأستاذة / سامية قطبى

الأستاذ / سامى زغلول

الفنانة / سوسن عامر

الأستاذ / صفوت كمال

المرحوم الأستاذ / محمد عدلى إبراهيم

الأستاذ / عبد الحميد حواس

الدكتور / عبد القادر مختار

الأستاذ / سمير جابر

الأستاذة / عصمت هانم عوض

الأستاذ / أنور مطر

ب) وإلى الجيل التالى لهؤلاء الرواد العظام، والذين يماثلونهم حبا وعشقا لتراث مصر :

الأستاذة / يسرية مصطفى

الدكتور / إبراهيم محمد حسن

الأستاذ / أحمد عبد الرحيم

الأستاذ / حسن صالح محمد

الأستاذة / سناء سونيا ولى الدين

الأستاذة / سهير مرعى

الأستاذة / نجوى عبد المعز

الدكتور / محمد عمران

الأستاذ / عمر خضر

الأستاذة / عواطف محمود سلطان

الأستاذ / محمد الجندى

الأستاذ / منير مدحت

الأستاذة / سيدة رشاد

الأستاذ / مجدى عبد العزيز أبو زيد

الأستاذة / سهير عبد المطلب

الأستاذة / أحلام أبو زيد

الأستاذة / نعمت نشأت

دكتور / شريف صبرى

الأستاذة / ميرفت البربرى

الدكتور / مصطفى جاد

ج) السادة أعضاء قسم الأرشيف الحافظين لهذا التراث فى ظل إمكانات معدومة :

الأستاذة / إلهام الصدفى

الأستاذة / سامية صالح

الأستاذة / هنية عبد الرحمن

الأستاذة / زبيدة جلال

د) وإلى السادة أعضاء الجهاز الإدارى الذين ساعدوا قدر الاستطاعة فى تذليل الصعاب :

الأستاذ / طلعت يوسف

الأستاذة / فاتن فرحات

الأستاذة / نادية أحمد

الأستاذة / فاطمة سليمان

الأستاذة / اعتماد ثابت

الأستاذة / رجاء بكرى

مقدمة

تحتل الأعياد والاحتفالات الشعبية دوراً مركزياً بالنسبة لأفراد الشعب ذلك لأنها تؤدى إلى تجمعهم والتفافهم حول مناسبة معينة بكل ما يعنيه هذا من ترابط وتكافل فضلا عن دورها فى عمليات التنشئة والضبط .

كذلك تحفل الاحتفالات بكثير من أوجه التعبير الثقافى التى تتجلى فى تعبيرات معتقدية وحركية وقولية وغير هذا من وسائل التعبير ، أيضاً تؤدى الاحتفالات دوراً مهما فى توثيق عرى الروابط الاجتماعية والعلاقات ، كما أنها مناسبات ذات جانب نفسى مهم للإنسان حيث يخرج فيها من نمط حياته السائد ويكسر بها رتابة الحياة ، ولا يعنى ذلك أنها انتقال لحالة الفوضى من النظام السائد ، بل إنها قمة النظام فى السلوك والأداء ومعرفة كل فرد لدوره فى تلك المناسبات .

ومن المفترض أن معرفة الفرد بجذوره أمر يساعد على تحديد ذاته ومعرفة هويته هذه الجذور المشتركة بين أفراد الشعب هى التى تميز شعبا عن آخر ، وبمعنى آخر هى التى تعطى الشعب سماته وخصائصه التى تميزه عن غيره من الشعوب .

ومن المؤكد أن الاحتفالات بما تحويه من عادات ومعتقدات وتقاليد وحكايات وغير ذلك من مظاهر التراث الشعبى تشكل جزءاً مهما من تراث كل شعب .

ويرى دورسن أن معظم المجتمعات فى العالم تكون لها أوقات أو تخصص أوقات معينة للاحتفالات . وهذه الأوقات لها أهمية خاصة للجماعات أو المجتمعات ، وربما تكون هذه الأوقات أوقات انتقال من فصل إلى فصل أو من طبقة إلى طبقة أعلى منها ، أو لأحداث تاريخية أو أسطورية كموت أو مولد بطل أو إله أو رمز لإعادة تجسيد أحداث تمت فى الحياة وهذه المناسبات تسمى أعياداً(١) ، ولكن الأمر المؤكد أنه ما من مجتمع إلا وله أعياده واحتفالاته التى يحييها سواء أكان هذا المجتمع فى أسفل السلم الحضارى أو على قمته .

ولا يغيب عنا أن الأعياد والاحتفالات تختلف فى العالم من مكان لآخر فى أسباب المناسبة وزمانها وفى المظهر الاحتفالى ، وهى مظهر للأداء المنظم والتلقائى وللتقاليد التى يجب أن تراعى ولدفء الجماعة وتوحدها كما أنها تحمل فى أعطافها وبين جنباتها معظم تراث الشعب وعبقه .

ويلاحظ أن الاحتفالات العامة فى مصر أى التى يحتفل بها كافة الناس أو يشعرون بمناسبتها هى احتفالات خاصة بمناسبات دينية سواء للمسلمين أو المسيحين يستثنى من ذلك شم النسيم وفاء النيل حيث إنهما لا يرتبطان بمناسبة دينية ، ويبدو أن الاحتفالات الفصلية خاصة الربيع يحتفل بها فى أغلب بلدان العالم .

وربما يذهب البعض إلى اعتبار تلك الاحتفالات أعياداً شعبية، ولكننا لا نذهب مع هذا الاعتبار فالمظهر الاحتفالى عادة ما يكون شعبيا ولكن المناسبة وتحديدها أمر آخر حددته مواعيد المناسبات الأسباب، والتى دعت إليها ولا يوجد بمصر ما نستطيع أن نطلق عليه أعياداً شعبية سوى عيد شم النسيم ووفاء النيل. فالأعياد الشعبية أعياد حدد الناس مواعيدها لمواقيت فصلية أو أشياء اعتقادية أو ميثولوجية، وعادة ما تحفل بالممارسات الاعتقادية كمنظومة البصل والبيض الملون فى شم النسيم.

ولا يوجد بمصر حسب هذا المفهوم - الأعياد الشعبية - سوى شم النسيم ووفاء النيل الذى لم يعد يحتفل به على المستوى الشعبى وربما يفسر هذا أى عدم وجود احتفالات شعبية عمق الشعور الدينى لدى المصريين حيث إن جل احتفالاتهم خاصة بمناسبة دينية .

وكان لدراسة الأعياد والاحتفالات بواحات الصحراء الغربية جانب ايجابى وهو وجود تسجيلات بمركز دراسات الفنون الشعبية فى أعوام ١٩٦٣، ١٩٨٤، ١٩٨٦ بالإضافة إلى بعض الكتابات التى تسبق تلك التواريخ لعبد اللطيف واكد ورفعت الجوهرى .

بل كان هناك ما هو أهم وهو كتاب كتبه الطبيب : مصطفى فهمى عام ١٩٠٥م، بعنوان أحسن الهدايات فى السفر إلى الواحات وهو رصد جيد لكل ما شاهده من مظاهر فى الواحات حيث أقام هناك حوالى عاما، فكتب عن اقتصاديات الواحات

ومسالكها ودوريها وعاداتها ومظاهر الاحتفالات فى المناسبات المختلفة وما يتردد من أغان فقد كتب عن الفولكلور أو المأثور الشعبى قبل أن يعرف هذا العلم فى مصر وهو كتاب جديد بأن يتناوله المنظرون .

ورغم أن هذه التسجيلات والكتابات لم تك خاصة بمنطقتى البحث اللتين اخترتهما وهما باريس والقصر ، حيث لم يردا بالكتاب إلا لماما كما أن المادة الغالبة بالكتاب مادة خاصة بقرى الداخلة. إلا أنها أفادت البحث إفادة كبيرة .

وقد لمس الباحث أنه رغم وحدة البيئة وتشابهها الجغرافى فى واحات الصحراء الغربية إلا أن هناك اختلافاً فى بعض الممارسات الخاصة بالاحتفالات فهم يحتفلون بكل المناسبات موضع البحث ولكن المظهر الاحتفالي يختلف من قرية إلى أخرى، وإن كان الاختلاف طفيفا ونستطيع القول بأن صورة الاحتفال متشابهة تقريباً وإن تباينت الظلال إلى حد ما .

وكان لاختيار منطقة الواحات بالصحراء الغربية لدراسة الجانب الاحتفالى فى المناسبات المختلفة عدة أسباب أهمها .

١- عزلة الواحات نسبيا عن وادى النيل وهل هذه العزلة تفرض نسقا خاصا من الممارسات الاحتفالية أم لا ؟

٢- عدم دخول الإرسال المرئى إلى المنطقة وقت اختيار المنطقة للبحث .

٣- دخول الإرسال المرئى للمنطقة وقت إجراء البحث وإمكانية

تلمس بعض مظاهر التغير والتى تبدت على استحياء .

وأيضاً كان اختيار قريتي : باريس والقصر لأسباب بعينها .

أولاً : باريس

١- من القرى القديمة[٢] ويقال إنها اكتسبت اسمها من «بيريز» القائد الفارسي حسب الرواية الشفاهية والذى كان متوجها لواحة سيوه لتدمير معبد الإله آمون، ولكنه دفن تحت رمال الصحراء هو وجيشه، ويذكر الدليل السياحي للمحافظة أنها سميت باريس أى الجنوب لكونها في جنوب مصر القديمة[٣].

٣- تقع على طريق درب الأربعين المار من السودان إلى مصر وبالعكس ومازال هذا الطريق مستخدما حتى الآن لجلب العطرون وإن كان يبدأ وينتهي من المكس إحدى عزب باريس.

يوجد أيضاً بعض أوجه التشابه بين القريتين فعدد الكسان يبلغ فى كل قرية حوالى خمس آلاف نسمة، والنشاط الاقتصادى الرئيسى فى كلا القريتين هو الزراعة وتبلغ المساحة المنزرعة أيضاً فى كل قرية حوالى ألف وثمانمائة فدان - وتتميز القصر بوجود بعض الحرف بها مثل الحدادة والنجارة وصناعة الفخار والحصر .

لا تعنى مبررات الاختيار سالفة الذكر سواء للواحات أو القريتين أن إجراء أية دراسة ميدانية فولكلورية على منطقة من المناطق لابد لها من مبررات للاختيار ودوافع لإجراء الدراسة لأنه من الواجب

علينا دراسة جميع مناطق مصرنا بدافع قومى لكى نؤصل تراثا أوشك أن يضيع ونحتفظ بقيم كادت تندثر ونحيى ميراثا كدنا نفقده .

ثانيا : القصر

١- القصر من القرى القديمة بالداخلة بل أنها كانت القرية الرئيسية والعاصمة ومازالت توجد بها مبانى من العصر الأيوبى وقد استمر الناس يسكنون القرية القديمة حتى وقت قريب وبها آثار من العصور المصرية القديمة كآثار المزوقة[٤] وآثار قرية أمهدة[٥] .

٢- كانت مركزاً للتجارة وبعض الحرف مثل صناعة الفخار والخوص والحصر والنجارة والحدادة .

٣- لجوء بعضا من طائفة السنوسية من أهل ليبيا إليها وإقامتهم بها لبعض الوقت ، وتمثل بعض أهل القصر لمذهبهم .

٤- كانت هدفا لمهدية السودان .

الهوامش

1- RICHARD M. Dorson, Folk lore and Folk Lief P. 159.

٢- يقع معبد دوش جنوب باريس بحوالي ثلاثة وعشرين كيلو مترا وقد تم بناؤه في عام ١١ وأبان حكم الإمبرطور تراجان، نفسه، ص.٣٠.

٣- نفسه ص. ٣.

٤- تبعد المزوقة عن القصر بحوالي ٥ كيلو وهي عبارة عن مقبرة اكتشفها المرحوم الدكتور أحمد فخري ونقوشها زاهية تمثل خيرات الواحات وقد أطلق عليها الدكتور فخري اسم المزوقة لألوانها الزاهية.

الدليل السياحي لمحافظة الوادي الجديد، نوفمبر ٨٣، ص.٤٠.

٥- تقع قرية امهدة على بعد ٢ كيلو متر جنوب القصر وآثارها تنتشر في مساحة تبلغ حوالي مائة وخمسين فدانا وقد عثر على مسافة ٣ك من مكان القرية على لوحة منقوشة يرجح أنها من الأسرة الثامنة عشرة ص.٤٠.

الفصل الأول

الاحتفالات الخاصة بالعيدين

عيد الفطر - عيد الأضحى

ترتبط احتفالات العيدين (الفطر والأضحى) بمناسبتين دينيتين معلوم موعدهما، فالفطر بعد انتهاء شهر رمضان، والأضحى بمناسبة الوقوف على عرفات ولم تحدد التعاليم الدينية المظهر الذى يحتفى به بهاتين المناسبتين سوى موعد ذبح الضحية وكيفية توزيعها، أما باقى مظاهر الاحتفال بالعيدين فى أى من البلدان فهى نتاج تفاعل دائم ومستمر بين الثقافة الموروثة والثقافة المكتسبة، التى تصبح ميراثا بعد فترة ويكتسب غيرها نتيجة لتأثيرات مختلفة كالاختلاط، الهجرة، السفر، الالتقاط وغير ذلك بالإضافة إلى تأثيرات البيئة ونمط الحياة السائد فى المنطقة .

والعيدان هما المناسبتان الوحيدتان اللتان يحتفل بهما جميع المسلمين رجالا ونساء وأطفالا . وتتبدى تلك الاحتفالات فى الزيارات وتبادل التهنئة والمعايدة وارتداء أزياء جديدة خاصة الأطفال وغير ذلك من ممارسات يلى ذكرها كما يبدأ الاستعداد للعيدين قبل قدومها بأيام فى عيد الفطر وربما بأشهر فى عيد الأضحى حين شراء الضحية .

ويلاحظ أنه كلما بعدنا عن المدينة - خاصة فى السنوات الأخيرة - زاد الإحساس بالعيد وبوجوده، فمظاهره تعلن عنه على عكس

المدينة، حيث يتلاشى فيها هذا الإحساس خاصة إن كبرت. وغالبا ما يكون ذلك نابع من أن القرية أو المجتمع الصغير يكون أسرة كبيرة بينها صلات متعددة من مصاهرة وتعامل وغير هذا فضلا عن المشاركة المستمرة فى المناسبات المختلفة مما يزيد من شعور الود والتلاحم. وذلك بخلاف المدينة التى يعيش فيها كل فرد أو أسرة كجزر منعزلة لاتربطهم بالغير صلات قوية كتلك التى فى القرية .

ففى قرية باريس تروى السيدة أم عمر: «كان يبدأ الاستعداد لعيد الفطر قبل حلوله بحوالى عشرة أيام حيث تبدأ النسوة فى طحن الدقيق على الرحى[١]، وعادة ما تتم هذه العملية قبيل السحور حتى تتمكن النسوة من مفاداة وقت الصوم وحرارة الجو»[٢].

وبعد الانتهاء من طحن الدقيق - الذى كان يستغرق أياما عديدة حيث إن الكمية المطحونة يوميا كمية قليلة - يبدأن فى عجن الدقيق حيث يعد ماجور للكعك، وماجور للعيش، وماجور للمنون وربما أكثر من ذلك حسب حالة الأسرة من حيث عدد أفرادها وثرائها «نبدأ فى صنيع العيش وبعد ذلك الكعك والمنون»[٣] الذى يخبز على هيئة حصان ويعطى للأطفال الذكور وعلى هيئة عروس وتأخذها البنات، وعند استواء المنون يأخذ كل طفل واحدة وينطلق فى الشارع ليريها لأترابه قبل أن يأكلها .

وكان الأطفال يلفون القرية ليروا من السيدة التى قامت بعمل أحلى منون، وعندما يعثر أحد الأطفال على منون حلو يقول لأترابه

«خالتك فلانة عاملة منون مليح قوى» فيذهبون إليها ويعدون عليها فتعطيهم المنون، وكان ذلك يحدث فى صباح يوم العيد. ويلاحظ أنه فى ذلك الوقت منذ أكثر من عشرين عاما كانت القرية صغيرة والكل يعرف بعضه[٤] .

وبالإضافة إلى هذا المنون الذى كان يوزع على الأطفال كان يعمل منون أصغر فى الحجم تأخذه الأسرة معها وهى ذاهبة إلى زيارة المقابر صباح يوم العيد لتوزيعه على الفقراء[٥] .

وإلى جانب خبز الكعك والعيش كانت هناك استعدادات أخرى لشراء «الكساوى» الملابس الجديدة وذلك للجميع من الجنسين صغاراً وكباراً، فلابد من ارتداء الجميع لملابس جديدة خاصة الأطفال.

والمظهر الجميل الآسر فى هذا العيد هو معاونة البيوت بعضها للبعض الآخر فى عمل لوازم العيد من عجين وخبز وغير ذلك، كما أنه إذا عرف أن هناك أحد الأشخاص لم يشتر أو يحضر لوازم العيد، ترسل له جيرانه ما يحتاجه من سمن ودقيق ..... إلخ

وتتبادل الهدايا من الكعك والمنون بين الجيران والأقارب، كما ترسل للبنات المتزوجات هدايا أيضاً من الكعك والمنون .

وسابقاً كانت لا توجد مياه فى البيوت مثل الآن فكانوا يذهبون كباراً وصغاراً - الذكور فقط - إلى عين الخش[٦]، ومعهم ملابسهم الجديدة للاستحمام فى هذه العين وكان البعض يمكث فى العين حتى الصباح حيث يخرج منها إلى الجامع لصلاة العيد[٧]، ويقوم أغلب

المصلين باحتضان الخطيب تبركا ، ولم يعد ذلك يحدث الآن .

وفى الصباح بعد صلاة العيد يخرج الناس من الجامع مرتدين ثيابهم الجديدة والتى يغلب عليها اللون الأبيض متجهين إلى المقابر لزيارة أمواتهم وقراءة الفاتحة والترحم عليهم. وتكون النساء قد سبقن فى الذهاب وكل واحدة تأخذ معها علاجة [٨] بها منون وعيش وكعك وبيض وغير ذلك ، ويختلف ما بها من كميات وأنواع من سيدة لأخرى وأيضاً جرة مياه ، حيث يتناولون الإفطار فى المقابر . ويعزم بعضهم على بعض بالطعام ويكرون عائدين إلى القرية بعد الزيارة[٩] .

بعد زيارة المقابر يتوجه الرجال إلى بيت العمدة لتهنئته بالعيد «يعيدّوا عليه» ثم ينتشرون فى القرية كلٌ يعيد على أقاربه وجيرانه ويهنئهم بالعيد . وعندما يقصر أحد ولا يذهب للمعايدة على من يجب عليه تهنئته ، يعاتبه هذا لعدم حضوره . ويعرف من حضر لتهنئته ومن لم يحضر من زوجته التى تخبره حتى يقوم برد التحية . وبعد المعايدة يعود كل رجل إلى بيته ، لكى يذبح ما يقدر عليه من الطيور .

والعبارات المتداولة فى هذه المناسبة «بعودة الأيام» أو «من العايدين» بمعنى السنة الجاية تعيد مرة ثانية أى : تستمر حياً إلى العام القادم . ومن الأقوال التى تقال فى العيد «يوم العيد البس وانزل فى الجامع صلى لا تكسل» ، «من شرق باريس للتغريبى ، خدها جر بالترتيب ، عيد حالا لا تتأخر» أى بادر فورا بالمعايدة على الناس من

شرق القرية حتى غربها .

وتستمر المعايدة لمدة ثلاثة أيام صباحا ومساءا ويقدم صاحب الدار للمهنئين كعكاً وحلويات وسودانى وترمس أو أية منها ، وذلك لأن كل من يحضر للتهنئة لابد وأن يأكل أى شئ وربما يكون ممتلئ المعدة ولا يستطيع تناول أى شيء فيأخذ بضع حبات من الترمس ويضعها فى يده وليس بدأ من أن يأكلها وذلك حتى لا يأخذ صاحب الدار على خاطره. فعدم تناول أى شيء مما قدم كواجب للضيافة أمر غير مستحب ، ولهذا كان التنوع فيما يقدم .

والأطفال أسعد الجميع بالعيد حيث يخرجون للعب مرتدين جلاليبهم الجديدة كما يركبون الجمال والحمير ويرتعون بها داخل القرية وخارجها ، وانتشر الآن بجوار هذه المظاهر السابقة ركوب الدراجات وفرقعة البمب وأيضاً ارتداء الملابس الافرنجية كالبنطلون والقميص والفستان وذلك بالنسبة للبعض من الأطفال والشباب من الجنسين وبالملاحظة وجد أن الاحتفال بالعيد يكون مبهجا ومفرحا والشعور بالعيد قويا فى أول أيامه وتقل هذه البهجة والفرحة فى الأيام التالية .

أما السيدات فبعد عودتهن من المقابر يمكثن فى البيت لاستقبال الضيوف وفى المساء يخرجن للمعايدة على الأقارب والجيران مرتديات ثيابهن الجديدة وتحمل السيدات معهن هدايا من الكعك والمنون تهادى به من تريد من الأقارب كما تتلقى هداياهم التى لا تختلف عما تعطيه هى لهن .

ويستثنى من هذه الممارسات والمشاركة فيها من كان عنده متوف ولم يمر عليه عيد فيمكث في المنزل هو وأولاده، كما لا يرتدون ثيابا جديدة. ويأتي إليه الناس ليسلموا عليه قائلين «لا أوحشك من غاب» ويرد هو قائلا «لا أوحشك من غالىَ» ويتولى أقاربه إحضار الطعام والشراب له طوال أيام العيد الثلاث، كان ذلك ما يحدث حتى وقت قريب لا يتجاوز عشر سنوات[١٠].

أما الآن فقد خفت هذه الظاهرة ولا يلتزم بها الجميع فغالبا ما يخرج أهل المتوفى فى ثانى أيام العيد لتقديم التهنئة بالعيد حيث يمكثون بالمنزل أول يوم فقط.

وبالنسبة للمتوفى الذى مر عليه عام يقوم أهله بتجهيز طعام في ليلة العيد ويدعون إليه بعض قراء القرآن الكريم ليختمون القرآن الذى يوهب للمتوفى ويزوره أهله في هذه الليلة التى تسمى ليلة الرحمة. ويكرر فى العيد الكبير ما حدث سابقا.

وبالنظر إلى ما سبق من ممارسات نجد أن أغلب تلك الممارسات مازالت مستمرة إلى اليوم والاختلاف الحادث هو نتيجة لدخول أدوات جديدة أدت إلى التغير في الوسيلة وليس فى العادة.

فمثلا كان أهل باريس سابقا يزرعون ويطحنون أما الآن فيشترون الدقيق الفاخر والسمن والزيت وذلك لكى يعدوا الكعك والعيش بل إن العيش أصبح يشترى أيضاً.

كما أدى توصيل المياه للمنازل إلى اختفاء وظيفة العين فلم يعد الناس يستحمون بها. وانسحبت العين بقصصها وحوادثها من

حياتهم تاركة ذكرياتهم عن العين، وعما شاهدوه حولها من غيد حسان يملأن جرارهن، وما هى الزيجات التى كانت العين سببا لها .

كذلك كان لرجال الدين تأثير واضح فى عدم ذهاب الأغلبية إلى المقابر صباح يوم العيد كما كان يحدث سابقا حيث يذكرون الناس بأن العيد يوم للفرح وليس لاستعادة الأحزان .

وهذا هو فقط الفرق بين ما كان يحدث سابقا وما يحدث الآن وهو ليس تغييرا فى الممارسات الخاصة بالعيد بقدر ما هو استفادة من تقنيات العصر، باستثناء الحث على عدم زيارة المقابر يوم العيد والتى ينصح بها رجال الدين .

أما فى قرية القصر فيذكر مصطفى فهمى فى كتابه الذى كتبه فى بدايات هذا القرن «أنه كانت تذبح الذبائح فى ليلة العيد وتخرج النساء إلى القبور فى الفجر ومعهن أطباقا من الخوص وقصع من خشب بها ثريد ولحم ومعهن مما يلزمهن من الماء ويضعن على القبور خضراوات من جريد وأفرع زيتون وورق ليمون وغيرها .

أما الرجال فبعد الصلاة يتزاورون فى الطرقات غالبا، والقليل منهم فى منازلهم ويتوافد كبار القوم وأعيان البلاد لتهنئة المستخدمين (الموظفين) بالأعياد .

وفى هذا اليوم تتباهى ناحية القصر بتقديم صوان من أطعمة مختلفة وكعك ممتاز فى هذه البلاد وتجتمع أكابر لأكلها معا وربما يحصل فى هذا اليوم ما يكدر ربات المنزل إذا وجد شخص طعاما غريبا لم تصنعه زوجته[11].

ويروى الحاج أحمد سنوسى عما كان يحدث فى العيدين منذ حوالى أربعين عاما ومازال ذلك مستمرا إلى الآن، لم يختلف كثيراً عما سبق، فيذكر أن الناس كانوا يشترون الأقمشة (١٢) قبل العيد بأكثر من عشرة أيام. حيث إنه لابد من تفصيل ملابس للعيد بالنسبة للجميع صغاراً وكباراً نساء ورجالا. وتخاط الملابس باليد عكس الآن حيث تخاط بالماكينة .

وكان هناك اعتقاد بأن من لا يرتدى ملابس جديدة يوم العيد يمر عليه العام وهو غير سعيد لأن هذا اليوم يوم فرح وسرور فكيف لا يفرح بهذا اليوم ويلبس الجديد ؟!

وهناك واجب يؤدى فى كل من ليلتى العيدين الصغير والكبير يقوم به الأب الذى لديه بنات متزوجات، حيث يرسل لهن لحوماً وأحيانا يدعوهن على العشاء .

ومنذ عدة سنوات كان العشاء المرسل إلى المتزوجات يتكون من ستين رغيفا من العيش وخمس عشرة كعكة وخمسة عشر منونا ولا يعرف الراوى لماذا هذا العدد بالتحديد، وكان هذا الأمر مكلفا للأباء، فاجتمع كبار القوم وقرأوا الفاتحة مقررين أبطال هذه العادة وفعلا انتهت تقريبا .

وقبيل العيد بعدة أيام يبدأ الناس فى طحن الدقيق وعمل الكعك والبسكويت بكميات كبيرة حيث إنه لابد من إرسال هدايا إلى الأقارب الذى يردون، تلك الهدية بمثلها مما صنعوه «بندوّق بعض»(١٣) .

وفى العيدين تذهب النساء لزيارة المقابر عصر اليوم السابق للعيد، آخذات معهن اللحم والفطير والفاكهة وغير ذلك من أطعمة لتفريقها على الفقراء ومقرئى القرآن المتواجدين فى المقابر .

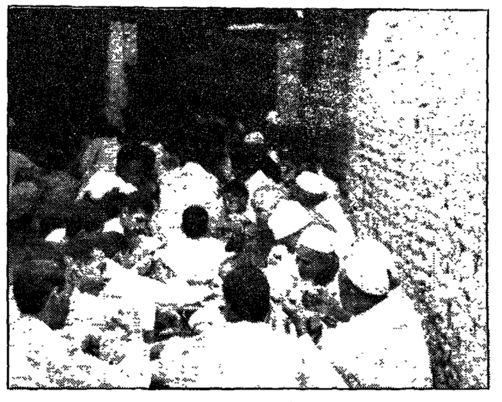
ويأخذن معهن أيضاً جريداً أخضر وأفرعاً خضراء من شجر الزيتون لكى يضعنه على المقابر حيث يعتقدن أن الأفرع الخضراء تسبح الله وتستغفر للميت، وهذا تقليد للنبى عليه الصلاة السلام عندما كان يسير ذات يوم فى المقابر فوجد قبرا مكشوفا فغطاه بجريد أخضر قائلا «لعل الله يرحمه» وتوضع هذه الفروع الخضراء على المقابر مهما كان الزمن الذى مضى على المتوفى .

ويصاحب الأطفال أحيانا ذويهم أثناء ذهابهم للمقابر ولكن لهوهم المفضل فى ذلك اليوم السابق للعيد هو لف القرية وهم يغنون «بكره العيد ونعيد ونذبح عجل الشيخ سيد» وهى مقولة منتشرة فى أرجاء مصر ولكننا لا نعرف من هو الشيخ سيد هذا ولكن لابد من ذبح عجله .

وبعد صلاة العيد يذهب الرجال لزيارة المقابر للترحم على أمواتهم ولا تستغرق تلك الزيارة أكثر من عشر دقائق يعودون بعدها إلى القرية حيث يقومون بالمعايدة على بعض ذوويهم من النساء فى المنازل .

وفى تلك الأثناء يخرج أهالى كل حصة[١٤] الطبالى وعليها الإفطار، وكل حصة له مكان معلوم تتناول فيه الإفطار ومن الجدير بالذكر أن لكل أسرة مكان توضع فيه الطبلية الخاصة بها، وتمد

الحصر فى الشارع ويجلس الجميع لتناول الإفطار الذى ولابد من أن يكون من فاخر الطعام، وإذا مر أحد الفقراء أو الغرباء عليهم يدعونه للإفطار معهم كما يحضر بعض الفقراء للإفطار بدون دعوة، وبعد الانتهاء من طعام الإفطار يقرأون الفاتحة ثم ينصرفون إلى بيوتهم لرؤية أولادهم وتهنئتهم بالعيد ومباشرة ذبح الأضحية وذلك فى عيد الأضحى .



منظر لتجمع أهل إحدى الحصص فى مكانهم المعتاد بقرية القصر القديمة لتناول الإفطار صباح عيد الأضحى. ولم تستطع الكاميرا إظهار الجميع. أخذت الصورة ١٩٩٥

بعد ذلك يتجمعون جماعات ويتوجهون إلى الحصص الأخرى لتقديم التهنئة بالعيد[١٥] وبعد الانتهاء من واجب المعايدة إلى حصتهم ويجلسون في بيت كبير الحصة انتظارا لأهل الحصص الأخرى التي قدموا لهما التهنئة بالعيد حيث سيحضرون للمعايدة عليهم أيضاً[١٦] .

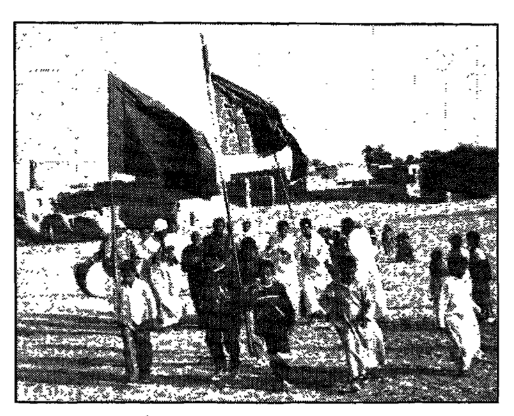
وبعد الفراغ من استقبال الحصص الأخرى ينطلق الرجال للمعايدة على اقاربهم من النساء .

ونساء القصر لا تؤدى واجب التهنئة بالعيد في الصباح وإنما يقمن بهذا الواجب في المساء إن كن يمكنهن تهنئة جاراتهن القريبات في السكن منهن في الصباح .

أما الأطفال الصغيرة فتتجمع في الشوارع وفي أماكن خارج القرية حيث يتبادلون المعايدة ويمارسون بعض الألعاب .

وبعد صلاة العصر يبدأ ضرب العدة . والعدة مجموعة من الأفراد يتراوح عددهم بين خمسة وتسعة . يحمل أحدهم بازة وثانٍ يحمل كأس وثالثُ يحمل نوبة (طبلة) وربما توجد بازتان أو كاسان وهكذا حسب العدة والباقي يحملون أعلام الشيخ الذى تتبعه تلك العدة .

وقد شاهدت في عيد الأضحى عام ١٩٩٥ ثلاث مجموعات للعدة تتبع كل مجموعة شيخ من مشايخ القصر (ولى) فهناك عدة الشيخ مبارز، وعدة الشيخ همام، وعدة الشيخ عمران وكل عدة تأتي من مكان في البلد ويتجمعون جميعاً في منطقة الفقراء[١٧] (الأولياء) .



إحدى العدد التي تخرج عصر العيد والعدة عبارة عن مجموعة من الأفراد يتراوح عددهم بين سبعة وعشرة ربما أكثر معهم بازة وكاس أو أكثر وطبلة. ويلفون بقرية القصر عقب صلاة العصر حيث ينتهي بهم المطاف في ساحة الفقرا (الأولياء) صورة ١٩٩١

ولنتتبع أحدى تلك المجموعات فقد بدأت من درب الشيخ مبارز حيث يبدأ منشد هذه المجموعة فينشد قائلا .

من حبسهم حبوه   من عزهم عزوه
من راضهم راضوه   من اد المعاطى ادوه
يا عزة الانهار   اخضرت الأشجار
ما تذكر لا إله إلا الله   محمد رسول الله
الفاتحة يا صاحب الوقت   وتقرأ الناس الفاتحة

ثم يبدأون فى السير خلال شوارع القرية ضاربين[١٨] الاتهم فقط بدون غناء وخلفهم حشد من الكبار والصغار حتى يصلوا إلى منطقة الأولياء (الفقرا) وقبل الوصول إلى تلك الساحة أو المنطقة تتقابل عدة الشيخ مبارز مع العدد الأخرى فى مناطق معينة قريبة من منطقة الأولياء ثم ينطلقون جميعا براياتهم وآلاتهم إلى تلك المنطقة والتى يوجد بها أكثر من أحد عشر مقاما .

وعندما يصلون إلى تلك الساحة يقرأون الفاتحة ويدعون ببعض الدعوات وينشدون بعض الأناشيد الدينية، وتوجد أيضاً مجموعات



لعبة النقار وتلعب عصر العيد بساحة الفقراء حيث يمسك أحد الأفراد ببيضة بين أصابعه ويضربها فى بيضة ثانية وإذا كسرها يأخذها وهكذا صورت ١٩٩٥

أخرى من الأفراد تقف فى أماكن متفرقة من تلك الساحة تنشد مديحا فى ذكر النبى عليه الصلاة والسلام. كما تنتشر فى الساحة المراجيح والعاب البمب ويشارك فى ذلك الصغار بنات وأولاد، واللعبة المنتشرة بين الكبار هى النقار فيمسك أحدهم بيضة بين أصابعه ويخبطها الآخر ببيضة معه فمن تكسر بيضته يأخذها الآخر وتستمر اللعبة هكذا .

وعندما تميل الشمس إلى المغيب تذهب العدة إلى مقام الشيخ همام ويلفون حول المقام وهم يضربون العدة ثم يقفلون راجعين[١٩] كما جاءوا وحتى سنوات قليلة مضت كان أهل القصر يخرجون من المنازل أثناء مرور العدة ويقفون أمام بيوتهم خاصة الذين معهم أطفال لاعتقادهم أن العدة تطرد الأرواح الشريرة وتمنع الشر كما تبعد الأشياء الضارة وتطيل عمر الأطفال ويتضح قوة هذا الاعتقاد عندما نلاحظ أن الناس البعيدة عن طريق سير العدة تحضر أطفالها أيضاً وتقف منتظرة مرور العدة .

وقد شاهدت ذلك فى عيد الأضحى عام ١٩٩٥ حيث تحمل النساء أطفالها ويقف رجال العدة[٢٠] أمام الطفل وينشدون بعض الأناشيد وتعطيهم أم الطفل ما تجود به وكان عدد النساء اللائى فعلن ذلك لا يتعدى أصابع اليد الواحدة .

ويذكر الاستاذ سعد أنه كانت هناك عادة أيضاً عند عودة العدة وهى أن ترسل بعض البيوت طعاماً لرجال العدة ومن معهم وكانوا يتناولونه وهم واقفون[٢١] .

ولوحظ أنه لم يحدث تغير كبير فيما سبق ذكره من ممارسات بقرية القصر فكل الممارسات تؤدى والاختلاف لحادث فقط هو ابن العشرين عاما الأخيرة، وينحصر فى نوعية الكعك والبسكويت المخبوز فقد أصبح أصغر حجما واحلى طعما وأضيفت إليه بعض الاضافات التى لم تكن معروفة سابقا مثل الفانيليا والبكنج بودر بل إن البعض أصبح يمتلك الآت لصنع الكعك والبسكويت .

أيضا الزى الخاص بالأطفال والشباب والفتيات الصغيرات أصبح البعض - كما فى باريس - يرتدى الملابس الافرنجية وكذلك الفتيات ترتدين الفساتين الملونة والمناديل للرأس، وأصبحت الدراجات هى وسيلة اللهو الرئيسية لأغلب الأطفال وأيضاً فرقعة البمب .

وقد لاحظ الباحث عامى ١٩٩٢، ١٩٩٥ زيارة الرجال للمقابر فى العيدين ولم تستغرق الزيارة وقتا طويلا فلم تتعد عشر دقائق ولم تفلح جهود رجال الدين تماماً فى الحث على عدم زيارة المقابر يوم العيد بتاتا بالنسبة للرجال، وأفلحت مع النساء حيث أصبحت زيارتهن عصر اليوم السابق للعيد بعد أن كانت فجر يوم العيد .

وهناك ملاحظة مهمة وهى أنه يمكن للبعض التدخل وإلغاء العادة كما حدث من كبار رجال القرية عندما اتفقوا على عدم أرسال العشاء للبنات المتزوجات للتكلفة العالية التى ترهق الآباء ويوضح لنا هذا أمراً على جانب كبير من الأهمية وهو أن الناس لا تستطيع الإقلاع عن عادة متوارثة وتأدية ما تفرضه عليهم تلك العادة من التزامات. مع أنه ليس هناك قوة جبرية تفرض عليهم ذلك الالتزام.

ويبدو أن قوة العادة ترجع إلى الخوف النفسي الذى يتملك من يحاول الإقدام على عدم ممارستها فضلا عن نظرة الناس لمن يقدم على هذه الخطوة .

ويؤكد لنا هذا قوة العادة وتغلغلها في حياة الناس، ويمكننا القول أن قوة العادة وشدة تمسك الناس بها تتناسب تناسبا طرديا مع عزلة المكان بمعنى أنه كلما كان المكان أكثر انعزالا كلما اشتد التمسك بالعادات .

ولا يختلف العيد الكبير والذين يطلقون عليه في باريس عيد الضحية كثيرا في مظاهر الاحتفال والفرح والحفاوة به عن العيد الصغير، فقبل قدوم العيد يبدأ أهل باريس في شراء الأقمشة لإعداد الثياب الجديدة للجميع فلابد من ارتداء الجديد في هذا العيد كما في عيد الفطر .

وتبدأ نساء باريس في تجهيز وإعداد الفطير قبل العيد لعمل الفتة وتستعمل النشابة[٢٢] في إعداده ويطلق عليه فطير أبيض أو فطير النشابة وهو يشبه الرقاق ويصنع من دقيق القمح، حيث تتفق سيدتان على خبز الفطير فتحضر كل واحدة منهما دقيقها وتعجنه دون خلطه مع دقيق الأخرى وتجلس إحداهن أمام الفرن والأخرى تعد الفطير حيث تضرب بالنشابة على الماجور، ويلف الفطير بعد ضربه على النشابة ليوضع في الفرن حيث لا يمكث أكثر من دقيقة ثم يسحب خارجا. والفتة هي وجبة العيد الرئيسية .

وهناك عادة مازال مستمرة وهي أنه بعد خبيز عيد الضحية الذى

ينتهي منه ليلة العيد توضع لقمة من جميع ما خبز في طاقة توجد أعلى الطابونة مع دعاء تقوله من تضع هذا وهو «خدى زادك وزوداك وحجى بيت الله وادعى لسيادك» ويكون الحجاج في ذلك الوقت مستعدين للوقوف بعرفات في الصباح ولا توقد نار في الطابونة لمدة ثلاثة أيام[٢٣] .

ولم نجد تفسيرا لعدم استعمال الطابونة خلال هذه الفترة ويرى الباحث أن ما خبز كاف لمدة ثلاثة أيام وهذه الأيام أيام فرح وسرور وزيارات ولا يوجد أحد مستعد لعمل أى شيء .

ويزور أهل باريس المقابر يوم الوقفة بعد صلاة العصر حيث تذهب النساء مع الرجال آخذين معهم كعكاً، بكسويتاً، بيضاً مسلوقاً وأطعمة أخرى لكي تفرق صدقة على روح الميت ولا يعودون إلى بيوتهم بأكل أبدا فلابد من إعطائه للفقراء ويقرأون الفاتحة ثم ينصرفون .

وأيضاً كانوا يذهبون لزيارة المقابر بعد صلاة العيد ولكن قلت هذه الظاهرة الآن لنهى المشايخ عن ذلك امتثالا لقول القرآن الكريم «فصل لربك وانحر»[٢٤]، ولكن لم تنته هذه الظاهرة نهائيا فمازال البعض يذهب إلى المقابر بعد صلاة العيد خاصة من كان لديهم متوف لم يمر عليه عام، أو شخص ذهب ليجامل قريبه أو صديقه يقرأون الفاتحة ويدعون للمتوفى ويعودون .

وللأضحية شروط واجب اتباعها فإذا كانت الأضحية خروفا فيجب ألا يقل عمره عن ستة أشهر، أما إذا كانت جدياً فلابد أن من

يمر عليه حول كامل عندما يتم ذبح الجدى يمرر الجزار أو من يذبح الجدى سكين الذبح وعليها الدم على الجدى الذى سيكون ضحية العام القادم (ده ضحية من عاش) اعتقادا بأن هذا يجعل الجدى يعيش[٢٥]. ويمكن أن يتفق سبعة أفراد ويضحون بعجل، لأن العجل يجوز لسبعة أفراد، ويقسم بالميزان بينهم وكان فى الماضى يقسم سبعة أنصبة وتجرى قرعة بينهم[٢٦] .

بعد ذبح الأضحية تقسم إلى ثلاثة أنصبة، نصيب لأهل البيت ونصيب للأقارب ونصيب للفقراء والأرامل القريبين من البيت، حيث إن البيت الذى ليس به رجل لا يضحى غالبا. وهذا نوع من التكافل بين أهل البلد الواحد حتى لا يشعر الفقير بأنه حرم من شىء.

ولابد من أن يحضر رب الأسرة عملية ذبح الأضحية فى حالة ذبح أضحية خاصة به أما إذا كان مشاركا فى عجل فيمكن أن يحضر أحد الأولاد، وكانت تؤخذ الدماء الأولى المتدفقة من الأضحية ويبل بها الكف وتوضع على الأبواب والحوائط ويعتبر هذا نوع من أنواع التبرك لكى تعود هذه العادة مرة أخرى[٢٧].

وبعد ذبح الأضحية تحدث نفس الممارسات التى تحدث فى العيد الصغير من تزاور للصغار وارتداء الملابس الجديدة، وغير ذلك، الفرق فقط فى نوعية الأكل فهناك كعك وفى الضحية ذبح .

وفى القصر[٢٨] عادة وهى أنه فى يوم الموسم - وهو الاسم الذى يسمون به وقفة العيد الأضحى - لابد من اشتمال كل الوجبات على

اللحم، ويجلس الأب على الطبلية وحوله أهله ويضعون ملعقة أو ملاعق لايستعملها أحد وهى توضع خصيصا للأموات للاعتقاد بأن الأموات تشاركهم الطعام ويبدأ الأب الأكل بقوله «اللهم اجعل هذا الطعام هدية ورحمة لأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين اللهم آمين» ويقرأون الفاتحة ثم يتناولون الطعام ويعتقد أنه إذا حدث ونسى الأب وضع هذه الملعقة يأتى الميت له أو لغيره من أهل البيت فى المنام شاكيا له ذلك(٢٩) .

وطبيعى أن يكون هناك غير القادر على شراء اللحم ولم يشتره لظروف خاصة، ويشعره ذلك بالخجل والتشاؤم لأنه عندما تتقابل الناس يهنئون بعضهم قائلين «دايماً فى فرح وعيد» لذلك يعتقد من لم يستطع شراء لحوماً فى هذا اليوم بأنه سيمر عليه العام القادم وهو فى نفس الحالة أيضاً. فمثلاً شخص لم يشتر اللحم لأنه حزين يأتى عليه العالم القادم وهو حزين. ولذلك لو كانت عنده حالة وفاة مثلا فلابد من شراء اللحم فى هذا اليوم، وإذا لم يشتر لحوما لشدة حزنه فيرسل له الجزار اللحم على أن يتقاضى ثمنها فيما بعد(٣٠)، وذلك حتى يتغلب على المعتقد الكامن فى الصدور .

ويبدأ الاستعداد لعيد الضحية فى القصر قبل العيد بشهور كثيرة حيث يبدأ الناس فى شراء أضحياتها، وأحيانا يشترك أكثر من واحد ويشترون عجلا كبيرا .

ويستمر ذبح الاضاحى طوال أيام العيد الأربعة، فيذبح البعض فى أول أيام العيد، والآخر فى ثانى أيام العيد، وهكذا إلى رابع أيام

العيد . ويحدث هذا لكثرة اللحوم فى العيد ، ولأنه لم تكن هناك وسائل لحفظها من التلف . فلذلك يذهب على سبيل المثال شخص لحضور ذبح الأضحية مع قريب له أو عزيز لديه ويدعو صاحبه هذا لحضور ذبح أضحيته فى أى يوم تال يحدده - ومازال ذلك مستمرا إلى الآن .

وكما فى باريس لابد من أن يحضر رب الأسرة ذبح الأضحية وأيضاً يضع الأطفال أيديهم فى دم الأضحية ويضعونها على الأبواب والحوائط ويحدث ذلك إلى الآن - وإن قل ذلك -[٣١] . ويرجع ذلك إلى أن المنازل أصبحت تبنى بالمسلح وتطلى الواجهات بالجير أو غيره ، فمن المستحيل تلطيخها بالدم لأن تكلفة البياض غالية .

وتقسم الضحية إلى ثلاثة أجزاء ثلث للفقراء والمساكين -والبعض يرسل هذا الثلث لشيخ الجامع ليتولى توزيعه بمعرفته - وثلث للهدايا والأقارب - ولا يرسل من هذا الثلث إلى أحدهم ولكن يدعوهم لتناوله وثلث للبيت وهذه الأجزاء تقسم بالميزان ومن كل بمعنى أنه لابد من أن يشتمل كل ثلث على جزء من الأضحية من الرأس والكبد والأكتاف وغير ذلك بحيث لا يكون هناك تميز لثلث عن آخر[٣٢] .

ولعدم تكرار القول أو الأحداث نذكر أن نفس ما يحدث فى عيد الفطر من ممارسات بعد صلاة العيد يحدث أيضاً وبنفس الصورة والترتيب فى عيد الأضحى .

أما عن الفوارق بين أغنياء القريتين وباقى أهلهما فلا تختلف عما سبق ذكره فى عيد الفطر فى الزى والطعام وإن احتلت اللحوم مكانة الكعك فى هذا العيد والأثرياء عادة لا يشاركون أحدا فى الأضحية . وربما يضحون بأكثر من أضحية خاصة إذا كانت الأضحية خروفا .

وبالنظر إلى ما سبق من احتفال بالعيد فى باريس نجد أن الاختلاف الحادث بين ما كان يحدث منذ ثلاثين عاما تقريبا والآن اختلاف طفيف راجع إلى استخدام تقنيات حديثة فى طحن الدقيق، فضلا عن استخدام الدقيق الجاهز والفانيليا وغيرها من مستحدثات العصر رغم عدم قناعتهم بذلك لأن الأمراض أصابتهم نتيجة لتلك المستحدثات. ولا يمكننا الجزم بإذاما كان عدم الرضا راجع إلى اقتناع أم هو حنين للماضى .

ورغم ما شهده مجتمع القريتين من سهولة فى الاتصالات والتنقل إلا أن الزى لدى الرجال والنساء لازال كما هو الجلباب الأبيض غالبا للرجال ومن الملاحظ أن غالبية المتعلمين والمستوظفين يلبسون الجلباب الأبيض ذى الياقة أما الباقون خاصة كبار السن فيلبسون الجلباب البلدى ذا القيطان .

وترتدى النساء الجلباب الأسود مع اختلاف نوعية الأقمشة حسب ثراء أو مكانة من ترتديه. وهذا هو زى العيد ويستثنى من ذلك بعض الأطفال والشباب الذين يرتدين البنطلونات والقمصان كما سبق القول، أما الفتيات فبعضهن يرتدون الفساتين الملونة

ويغطين رؤوسهن بمناديل ملونة .

ويلاحظ أن الأزياء النسائية افتقدت التطريز الذى اشتهرت به الأزياء فى الواحات فتخلت بذلك عن خاصية من أخص خصوصيتها بل إن تلك الخاصية التى برع فيها الجميع سابقا لم يعد يؤديها إلا بعض السيدات من كبار السن .

وربما كان ذلك راجع إلى ما تستغرقه عمليات التطريز من وقت ، أو إلى محاولة محاكاة ما يتراءى لهم عبر أجهزة الإعلام حتى لا يتهموا بالتخلف عن ركب المدينة .

ولوحظ أيضاً أن الممارسات الخاصة بالعيدين واحدة ومتشابهة لدى الجميع فى القريتين إلا أن هناك بعض الفروق الطفيفة بين الأثرياء وهم قلة وجدير بالذكر أنه لا يوجد بالقريتين ثراء فاحش أو فقر مدقع فالمستوى المعيشى بين الجميع متقارب .

فالأسر الثرية تسرف فى صنع الكعك وغيره كما تتفنن فى أشكاله خاصة من لهم أبناء بالخارج المحلى (خارج القرية وداخل مصر) أو بالخارج القطرى (خارج القطر) كما يظهر ذلك أيضاً فى نوع الضحية وحجمها . وذلك لأن الأبناء المغتربين عادة ما يرسلون نقوداً وأشياء مادية فضلا عن نقلهم ما شاهدوه ومحاولة تقليده .

ويتضح ذلك أيضاً فى ملابس الأثرياء من أقمشة أجود وتفصيل ذى إضافات بالقيطان الحرير للجلباب عكس جلباب الفقراء الذى يفصل من أقمشة رخيصة مع تفصيل عادى وينطبق ذلك على النساء والرجال والأولاد .

ومن الأمور العادية والملفتة لابن المدينة التعاون بين الناس، فليس هناك حرج فهناك غير القادر على القيام بمظاهر العيد، ولكن هناك في نفس الوقت من يمد له يده فيرسل له الكعك وربما الملابس أو يرسل له الدقيق والسكر وغير ذلك والقادر هذا إما من الجيران أو الأقارب .

وإذا حاولنا أن نبحث عن الفروق أو الاختلافات فى الممارسات بين كل من باريس والقصر فإننا نجدها فى نظام المعايدة حيث يبدأ أهل باريس معايدتهم بتهنئة العمدة أولا ويتحركون فى مجموعات من الأصدقاء والأقارب وفى أعداد لا تتعدى أصابع اليد الواحدة. أما فى القصر فكل حصة تذهب للمعايدة على الحصص الأخرى، ولا يذهب جميع أهل الحصة لتأدية واجب المعايدة بل كبارها .

أيضاً ظاهرة الإفطار الجماعي لأهل كل حصة فى القصر نفتقدها فى باريس حيث تتناول الأسرة إفطارها بمفردها .

وقد أدى نظام الحصص إلى أن تكون المشاركة جماعية بين أهل الحصة أو بمعنى آخر أدى نظام الحصص إلى شعور جميع أهل الحصة بأنهم أسرة واحدة، ولذلك يتحركون سويا بينما افتقد أهل باريس ذلك كما يرجع ذلك أيضاً إلى أن نظام الحصص يؤدى إلى التجمع والتوحد والمشاركة فالحصص ليست شارعا أو أكثر ولكنها نظام من العلاقات والالتزامات والواجبات يربط أهل الحصة بعضهم ببعض .

ضرب العدة أيضاً من الأشياء المميزة فى العيدين فى القصر ولا توجد فى باريس وكنت أعتقد فى تفرد القصر بهذه الظاهرة، ولكن

اتضح لي وجودها في قرية المعصرة بالداخلة ولكنها تضرب صباح يوم العيد. ويبدو أن ضرب العدة بالقصر بدأ في فترة لاحقة لما كتبه مصطفى فهمي حيث لم يذكرها في كتابه .

كذلك استخدام الأطفال للدراجات في اللعب بديلا عن الحمير. كما أدى توصيل المياه إلى المنازل إلى اختفاء وظيفة العيون فلم يعد الناس يستحمون فيها .

أيضاً يتضح تأثير المشايخ في الحث على عدم زيارة القبور يوم العيد لأنه يوم فرح وسرور، وهذا أمر مكروه في الدين، حيث لوحظ تضاؤل عدد من يزورون المقابر يوم العيد.

كما نجد أنهم كانوا يعتقدون أن العدة تطرد الأرواح الشريرة وتمنع الشر - وهو اعتقاد يشابه الاعتقاد في الزار - فكان أهل القصر يقفون أمام الأبواب وفي طريق سيرها، ولكن قل ذلك الآن .

ونجد أن عادة ذبح الاضحيات على مدار أيام العيد كانت موجودة في بدايات القرن وربما قبل ذلك، واستمرت إلى الآن. ويبدو أن استمرارها راجع إلى عدم كفاية الثلاجات رغم دخول الكهرباء .

وأيضاً طبع الكف بدم الأضحية على الأبواب والحوائط عادة قديمة ومتشابهة بين القريتين، وإن كانت على وشك الاختفاء كظاهرة في القريتين أيضا ويرجع هذا إلى أن معظم البيوت الحديثة أصبحت تطلى بالجير وغير مستحب طبعا تلطيخها بالدم لأن طلاءها يكلف الكثير، عكس البيوت المطلية بالطين والتي تطلى سنويا لسهولة طلائها .

بالإضافة إلى ذلك نجد أن نفس ما حدث فى باريس من تغير هو نفسه ما حدث فى القصر من تأثير المشايخ فى عدم زيارة المقابر يوم العيد حيث اتبع البعض قول المشايخ بالإضافة إلى استخدام التقنيات الحديثة وغير ذلك وكل هذا ابن العقدين الأخرين .

ومن الأمور الملفتة أن كل من تجاذبت معهم أطراف الحديث من الرواة فى كلا القريتين باريس والقصر ، يذكر أن المودة والتراحم والتعاون والصلات بين الناس كانت سابقا أقوى من الآن وليس عندهم تفسير لذلك .

ويرى الباحث أن السبب يكمن فى أنهم سابقا كانوا أكثر احتياجاً لمعاونة بعضهم البعض فى الطحن والخبز والزراعة وغير هذا من أمور الحياة ، بالإضافة إلى ذلك كان الجميع تقريباً يعملون بالزراعة . والآن توظف بعضهم . وعمل بعضهم فى مهن أخرى فاختلفت الاهتمامات وتنوعت المشارب فضعفت الصلات بين الناس بالإضافة لاستهلاك المرناة لوقت الناس . ويمكننا القول إن التكنولوجيا تباعد بين الناس والفلاحة وتقرب بينهم .

يتبقى لنا بعض الملاحظات أو التساؤلات حول احتفالات العيدين فى كل من باريس والقصر ، فرغم أن البيئتين متشابهتين فى كل منهما إلا أننا نجد بعض مظاهر الاختلاف البسيطة بينهما .

ففى القصر توجد عادة الإفطار جماعات خارج البيوت صباح يوم العيد ؟ ولا توجد هذه العادة فى باريس . فهل فرض نسق القرية معماريا هذا ؟ فنحن نجد أن بيوت القصر خاصة فى القرية القديمة –

أكثر التصاقا وشوارعها مسقوفة وضيفة والأقارب متجاورين بل يمكن القول إنهم متلاصقون وكذلك كانت باريس القديمة أم أن نظام الحصص هو الذى أدى إلي ذلك ويوجد هذا فى القصر ولا يوجد فى باريس – أم أنه تأثير وافد من الغرب ؟

كما أننا لاحظنا أن أعداد من يتناولون طعام الإفطار سوياً صباح يوم العيد يقل فأغلب من يبعد عن القرية القديمة لا يحضر هذا الإفطار .

بالإضافة إلي ذلك نجد فى القصر أيضاً عادة إرسال عشاء للبنات المتزوجات ليلة العيد ووضع ملعقة أو ملاعق زائدة عن العدد أثناء تناول الطعام في الموسم للاعتقاد أن الأموات تشاركهم الطعام، وأيضاً الاعتقاد أن من لم يشتر اللحم فى العيد الكبير فإن عامه سيكون عاما غير سعيد، وبالإضافة لذلك ضرب العدة عصر يوم العيد .

هذه هى الممارسات التى تمارس فى القصر ولا تمارس فى باريس رغم تشابه البيئتين، وهذا يؤدى إلى القول أن التشابه البيئى لا يؤدى بالضرورة إلى تشابه ثقافى ونضيف أنه هنا ليس تشابها بيئيا فقط ولكنه ـ بالإضافة إلى هذا ـ وحدة الدين واللغة .

فهل يكون ذلك راجعا إلى تأثير ثقافى وافد؟ وهذا مالا يمكن الجزم به حتى الآن وإن كانت الروايات الشفاهية عن تاريخ كلتا المنطقتين تبين أن كل منطقة منهما تعرضت لهجرات أو غزوات أو هجوم من مناطق أخرى .

فقد تعرضت باريس لغزو دراويش السودان وقدوم السودانيين إليها حيث كانت معابر دبر الأربعين. كما كان أهلها - بعض أهالى - باريس ومازالوا يسافرون إلى السودان للتجارة.

أما القصر فتعرضت لهجوم السنوسية وكانت أكثر التصاقا بليبيا وحبا للسنوسيين حيث نجد أن اسم سنوس شائع بينهم وكثير من عائلات القصر حسب رواياتهم الشفاهية قادمة من الغرب أي من ليبيا(٣٣) .

ومما سبق يمكننا القول بأن المظاهر الأساسية فى احتفالات العيدين كخبز الكعك فى الفطر، وذبح الأضحية فى الأضحى، وارتداء الملابس الجديدة، وزيارة القبور، والمرور على أهل القرية للتهنئة هى سمات عامة فى المجتمع المصرى خاصة قراه. وأن انخفاض اعداد من يقومون بزيارة لمقابر صباح العيد أصبح سمة عامة فى قرى مصر، وراجع هذا أيضا إلى تأثير الدين بالحث على عدم زيارة المقابر فى يوم عيد المفترض فيه أنه يوم للفرح والسرور .



ساحة الفقراء (الأولياء) حيث يتجمع أهل القصر هناك عند صلاة العصر للاحتفال بالإنشاد واللعب للصغار والكبار حتى تأفل الشمس للمغيب . صورت ١٩٩١

الهوامش

١- تطحن على الرحايا في الساعة حوالى ميشة والميشة تساوى ٢,٥ كيلو والويبة تساوى عشر ميشات .

٢- سألت الراوية إذا كانت هناك سيدة مريضة هل كان يساعدها أحد؟ فأجابت بحسرة «في هذا الزمن ماكانش فيه حد بيعى كان كله شديد مش زى دلوقتى» وتكرر هذا القول من راوية أخرى في المكس القبلى وهى رواية حامدة سامه برى .

٣- يعمل المنون من الدقيق واللبن والزيت والسمن .

٤- أم عمر مصطفى مهاود، ٥٠ سنة، باريس، ربة بيت، باريس منزل الراوية شريط رقم ٥ وجه ١ ١٩٩٣ ، شوقى عبد القوى عثمان .

٥- عبده محمد عبده، ٧٢ سنة، باريس مزارع، باريس، منزل، مهندس عباس وهبه عديل، نسخه ٧٨ ، وجه١ باريس ١٩٩٢ ، نفسه .

إبراهيم اسماعيل، ٧٠ سنة، باريس، مزارع، باريس، المنزل السابق، نسخة ٧٩ وجه٢ ، باريس ١٩٩٢ ، نفسه .

٦- عين الحشى : عين مياه جنوب باريس وقد جفت الآن وأقيمت بجوارها قرية باريس عندما انتقلت من مكانها القديم والآن امتدت باريس بعيداً عنها وتتميز مياه تلك العين بالدفء شتاء والبرودة في الصيف، وفى الشتاء كانت تشعل حولها النيران في سعف النخيل الذى يجمع لهذا الغرض حيث يستدفئون عليها حين خروجهم من العين .

٧- مهدى سامى بربرى، ٥٠ سنة، باريس، مزارع، باريس، نسخة ٧٨ وجه ٢ باريس ١٩٩٣ منزل مهندس عباس، نفسه .

٨- تشبه القفة الصغيرة وتصنع من سعف النخيل .

٩- ملاحظات الجامع / شوقى عبد القوى ١٩٩٢ .

١٠- عبده محمد عبده، نسخة ٧٨ وجه٢ ، ١٩٩٢ .

١١- مصطفى فهمى، أحسن الهدايات في السفر إلى الواحات، مصر ١٩٠٧ ، ص ١٣٦ .

١٢- من أنواع الأقمشة الدمور وهو القماش الخام، والمدارسى قماش ازرق يفصل منه

جلاليب للسيدات ، الدبلان بفته ، الهيامونى قماش أسود للسيدات يفصل قناعاً للنساء الكبيرة (ملاءة) ، وكان يقال في الغزل : يا لابسة الهيامونى من عال الدكاكينى توب الحرير رقيق شبك في النبق .

وكان القماش يقاس بالدراع ، ونظرة إلى مرتبات ذلك العصر الشهرية نجد أن مرتب الخفير كان ٥٠ قرشاً وشيخ الخفر ٧٥ قرشاً وحلاق الصحة ١٢٠ قرشاً – ورطل اللحمة بقرش (الكليو ٢,٢٥ رطل) .

أحمد سنوسى خلف الله ، ٧٢ سنة ، القصر ، بالمعاش وكان يعمل بالصحة ، القصر ، نسخة ٨٧ وجه٢ القصر ١٩٩٢ ، نفسه شوقى عبد القوى .

١٣- أحمد سنوسى محمد خلف الله ، س٨٦ و٢ ، ١٩٩٢ ، القصر ، شوقى عبد القوى ، حلمى سيد حنفى ، ٥٣ ، القصر ، الإدارة الصحية بموط ، أصل س٦ و٢ ، ١٩٩٢ القصر شوقى عبد القوى .

١٤- يوجد في القصر أربع حصص والحصة عبارة عن شارع أو أكثر تسكنه عائلة ما كالدينارية وأحياناً يكون معها بعض الأفراد من عائلات أخرى ولكل حصة شيخ .

١٥- تختلف عائلة الدينارية عن باقى عائلات القصر فى أنها تقوم بالتهنئة بالعيد قبل الإفطار بينما باقى عائلات القصر تقوم بهذا الواجب بعد الافطار .

١٦- يلاحظ أن عائلتى القرشية وخلف الله يتزاورون في العيد وتتحدد العائلة التى ستبدأ بزيارة العائلة الأخرى فى ضوء آخر متوف من أية عائلة هو – فالعائلة التى يكون متوفاها الأخير تقوم العائلة الأخرى بزيارتها وهذا معلوم للطرفين .

أحمد سنوسى ، نفسه .

١٧- يطلقون على المنطقة التى بها مقامات الشيوخ أو الأولياء – الفقراء – ذلك لأنهم فقراء إلى الله ولم يك لهؤلاء المشايخ اهتمام بالحياة الدنيا . ويبدو أن العرف قد جرى على أن يطلق على رجال الدين أو الفقهاء اسم الفقراء بوركهارت ، رحلات بوركمان في بلاد النوبة والسودان ، مصر ١٩٧٠ ص ١٧٠ .

١٨- يعتمد الإيقاع فى ضرب العدة على ضرب البازة ضربتين وترد الطبلة بالضربة الثالثة .

١٩- تعود العدة من عند مقام الشيخ همام لأن عائلة الشيخ عمران حزنت لوفاته ورفضت النزول وظلوا بجوار المقام ، وكان الناس يحملون إليهم الطعام والشراب حتى أتى العيد فذهب الناس بالعدة واصطحبوهم معهم في العودة .

ماهر عز الدين، ٣٩ سنة، القصر، وكيل مدرسة القصر الإعدادية، ١٩٩٥ القصر.

٢٠- يذكر السيد أحمد سنوسي سبب ضرب العدة فيقول «إنه كانت هناك حرب بين المسلمين واليهود، وكان المسلمون يريدون دخول الموقع الذى به اليهود - لم يستطع الراوى تحديد المكان وأخيراً قال فى مصر - ولم يستطع المسلمون دخول هذا المكان فأحضروا العدة وأخذوا يضربون عليها، ففى أول يوم تجمعت أطفال اليهود ليشاهدوا العدة، وفى ثانى يوم حضرت الأولاد لتشاهد العدة، وفى كل يوم يحضر الأكبر سنا واستمروا على ذلك حوالى سبعة شهور وهم يضربون العدة وطبعاً الذين يضربون العدة يتظاهرون بأنهم مشايخ إلى أن اجتمع قادة اليهود وكان جيش المسلمين مختبئاً، وكانت هناك علامة متفق عليها بين جيش المسلمين وضاربى العدة، فلما اجتمع قادة اليهود ضربوا العدة بالطريقة المتفق عليها فأنقض جيش المسلمين وامسكوا بقادة اليهود ودخلوا البلد أو الموقع، وقد استمرت سنة إلى الآن، وقد نسب الراوى هذه الرواية إلى كبير ضاربى العدة فى زمن سالف.

أحمد سنوسى خلف الله، ص١٧ و١٩٩٣ القصر، شوقى عبد القوى، ويروى آخر أنه كانت هناك عدة قديمة عبارة عن طبلة مشدودة على خشب على هيئة قروانة مونة وغطاء جلد يرتبط من أسفل بسيور جلد، وكانت تضرب الطبلة عند غزو القصر من جهة ليبيا بالجيش السنوسى حيث يقفون على أعلى قبة بقرية القصر وتسمى جارة وتسمع الطبلة فى تنيدة (قرية تقع على بعد حوالى ٤٠ كم من القصر) أول بلاد الداخلة من جهة الشرق فتستعد البلاد لمواجهتهم.

محمود أحمد أبو بكر، ٦٥ سنة القصر، مزارع، القصر، حديث ١٩٩٥.

٢١- سعد أحمد أبو بكر ٥٧ سنة، القصر، مدير مدرسة القصر، القصر، حديث ١٩٩٥.

٢٢- النشابة : عصا مستديرة تستخدم لفرد الفطير.

٢٣- أم عمر مصطفى مهاود، حديث مع الباحث، ١٩٩٣.

٢٤- سورة الكوثر.

٢٥- ثابت زايد دبكة، ٥٩ سنة، باريس، موظف بالصحة، باريس، ١٩٩٢.

٢٦- قبل ذلك لم تكن توجد موازين فكان العجل يقسم على عدد المشاركين وعادة ما يكون عددهم سبعة، ثم يؤتى بأحد الأفراد مغمى العينين ويمسك آخر بيده ويضع

يده على كومة (قسم) من اللحم ويسأله لحم من هذا فيسمى اسما ثم ينتقل إلى قسم ثانٍ وهكذا .

وطريقة أخرى وهى أن يحضر المشاركون أشياء مختلفة مثل طبق، قطعة من الزلط، منديل وكل واحد يعرف الشيء الخاص به ويؤتى بطفل لم ير هذه الأشياء أو يعرف من تخص ويمسك بها ويضع كل واحدة على قسم وبذلك يصبح كل جزء من اللحم خاص بمن وضعت عليه علامته .

٢٧- عبد الرحمن عبد المنعم عبد الرحمن، ٤٠ سنة، باريس، مهندس زراعى، باريس، ١٩٩٣ باريس .

٢٨- يتكلم مصطفى فهمى عن مظاهر العيد فى مطلع القرن العشرين فى القصر فيقول إنهم يذبحون ذبائح الصدقات قبل عرفه بيوم فتصنعها الأهالى طعاما على شكل ثريد يخرجونه بعد الفجر إلى صبيان البلد الذين يطوفون زرافات قائلين بأعلى صوتهم هذه الجملة (الصوانة شركة ولعة) أعنى أن النار تطهى اللحم كلما يمرون على منزل به صدقة يأكلونها وينتقلون إلى غيره وهكذا، والعادة المتبعة عند أغلب الأهالى وخصوصا بالواحات الداخلة أنهم لا يضحون إلا فى اليوم الثانى أو الثالث من العيد .

مصطفى فهمى، المرجع السابق، ص١٣٦ - ص١٣٧ .

٢٩- رشدى منير الدينارى، ٤٠ سنة، القصر، مدرس لغة إنجليزية، القصر، ش ٨٧ و٢، ١٩٩٢ القصر، شوقى عبد القوى عثمان .

٣٠- ماهر عز الدين، ش٨٧، و٢، ١٩٩٢، نفسه .

٣١- يوسف سنوسى خلف الله، القصر، عضو مجلس شعب، موط، ش ٨٧، ١٩٩٢ القصر، نفسه .

٣٢- يوسف سنوسى (نفسه) .

٣٣- شوقى عبد القوى عثمان، التاريخ الشفاهى لقريتى باريس والقصر، مجلة الفنون الشعبية، العدد ٥٣ .

الفصل الثانى

الاحتفالات الخاصة بالمناسبات الدينية

رأس السنة الهجرية - عاشوراء - مولد النبى - جمعة رجب - ٢٧ رجب- نصف شعبان - رمضان .

تحظى احتفالات المناسبات الدينية والتى يحدد موعدها على أيام السنة الهجرية مثل عاشوراء، المولد النبوى، نصف شعبان باهتمام أهل الواحات، فهى فرصة طيبة لإطعام الفقراء والتصدق عليهم، وكذلك الخروج عن نمط الحياة اليومية التى يحياها الناس فى الواحات فيجتمعون ويتزاورون وينشدون ويعدون أصنافا من الطعام لهذه المناسبات .

وجدير بالذكر أن الاهتمام ببعض تلك المناسبات بدأ يتضاءل، بل إن بعض المناسبات لم يعد يحتفل بها ولا يشعر بحلولها إلا قلة من الناس مثل رأس السنة الهجرية، جمعة رجب.

ويمر يوم رأس السنة الهجرية دون أن يشعر به أحد إلا الموظفين لكونه إجازة رسمية وأحيانا يقام احتفال بسيط فى بعض المساجد حيث يقوم بعض المشايخ بتلاوة القرآن الكريم بعد صلاة العشاء[1] . وفى القصر كما فى باريس يمر ذلك اليوم كأى يوم آخر[2] .

ويبدو أن عدم الاحتفال برأس السنة الهجرية راجع إلى أنه بعد تسعة أيام تحل عاشوراء حيث كان يحتفل بها الجميع - ومازال- احتفالا كبيرا .

يتحدث مصطفى فهمى عن هذا اليوم فى أوائل القرن العشرين فيذكر أنه «فى اليوم الثامن من المحرم تذبح غالبا ذبائح من البقر فى عموم بلاد الواحات، ومن الضرورى لكل منزل أن يشترى لحما ليصنعه طعاما لأفراد عائلته وذلك فى التاسع من الشهر وفى ليلة العاشر منه يذبحون فرخه أو حمامه لكل شخص فى المنزل ذكرا كان أم اثنى، كبيراً أم صغيراً ويضعونها تحت رأسه عند النوم فى وعاء من الخوص يسمى بالقادس ومعها بعض من البيض والخبز أو الكعك وعندما يستيقظ فى الصباح يأكلها وإن كان رضيعاً تأكلها أمه[٣] .

وتخرج الأهالى عموما فى هذا اليوم ما تقدر عليه من الزكاة ويزورون موتاهم ويصلون أرحامهم حتى، إن بعض البلاد كالقصر والقلمون بالواحات الداخلة يكلفون أنفسهم فوق طاقتها بإرسال ديكة رومية، وأفراخ بلدية وحمام وكعك وخبز إلى بناتهم المتزوجات بعيدا عنهم ولذلك ترتفع أثمان الطيور ارتفاعا باهظاً فى هذا الشهر دون غيره .

ومن الضرورى لكل منزل أن يطهو ورق عنب محشواً حيث يجمعونه ويخزن جافا لهذا الغرض[٤] ولكن لم يعد ذلك عاما كما كان من قبل فقد خفت حدة تلك الظاهرة .

وحتى العقد السابع من هذا القرن كان الاحتفال بعاشوراء فى باريس يشمل كل أهل القرية جميعاً فكان الأطفال يخرجون عصر اليوم التاسع ويحضرون أفرع من العشار[٥] ويثبتونها على باب

البيت ، وتترك ، وهي شجرة دائمة الاخضرار .

وتعتبر ليلة العاشر ويسمونها العشر (موسما) حيث تذبح الأسر الطيور خاصة الفراخ[٦] وهو الاسم الذى يطلق على الحمام فى باريس ، وتكون الأنصبة فى هذه الليلة أكبر من الأيام الأخرى حيث يختص كل واحد فى المنزل بحمامة كاملة اعتماداً على القول السائد «من وسع على عياله وسع الله عليه» وهو قول سائد فى كل المناسبات الدينية كما تلطخ الأبواب والحوائط بكفوف الدم .

وفى هذا اليوم لابد من تناول الأسرة للعشاء سويا حيث يجلسون على طبلية واحدة - ويتولى الأب توزيع الأنصبة على الجميع وقبل العشاء يبحث الأب عن أى غريب يكون موجوداً فى القرية ليدعوه على العشاء لأنه يقال «إن الله يغفر لمن أطعم غريبا» وترسل الأم لبناتها المتزوجات عشائهن فى هذا اليوم[٧] .

والآن يعرف موعد عاشوراء من الراديو أو التليفزيون أو الجرائد ويمر هذا اليوم مثل أى يوم آخر والاختلاف الوحيد هو فى الطعام حيث إنه لابد من وجود اللحوم حيث تشترى من الجزار والبعض يذبح طيورا ، ولكن لم تعد لعاشوراء بهجته وفرخته الأولى[٨] .

وإذا انتقلنا إلى القصر لانجد اختلافا كبيرا فى مظاهر الاحتفال بعاشوراء كما جاء عند مصطفى فهمى فى بدايات هذا القرن وكما سجله الأستاذ عبد الحميد حواس عام ١٩٧١[٩] وما سجل عام ١٩٩٢ .

يرى الراوى أن عاشوراء خراب حيث يحدث فيه إبادة للدواجن

فكل فرد فى الأسرة له دجاجة تحشى بالأرز والكبير له ديك رومى أو بطة أو أوزة. وبالإضافة إلى ذلك يسلق بعض البيض والمتبقى من هذا الطعام بعد العشاء يوضع فى قادس[10] ويعلق على الأبواب والحوائط وكل ولد له قادس وعندما يجوع يأكل منه[11] .

ومازالت هذه العادات متبعة فى القصر كما هى لم تتغير سوى أن وضع الطيور فى القادس (الملجم الان) لم تعد منتشرة بدرجة كبيرة كما كانت منذ وقت قريب. بالإضافة إلى أن الحماه ترسل لزوج ابنتها بطة أو أوزة .

ويرى الراوى أن هذه العادة[12] مكلفة ولم يستطيعوا القضاء عليها مثلما استطاعوا القضاء على عشاء ليلة العيد والصعوبة جاءت من أن هناك قول مأثور «من وسع على عياله فى عاشوراء وسع الله عليه فى الرزق طوال العام»[13] .

وكانت هناك عادة تقوم بها إحدى الأسر فى عاشوراء وهى عائلة الحاج أبو بكر منذ فترة قريبة وإن ظلت تقاليدها مستمرة حتى الآن ويتكلم عنها حلمى سيد فيقول «كانت هناك عادة اسمها اللخبطية حيث كان زمان يعملوا الذكر فى زاوية اسمها سيدى مدنى وكنا احنا نعمل ذى سيدنا نوح اما جه الطوفان وركب السفينة كان معاه شوية حبوب فطبخهم مع بعض[14]. فاحنا كنا نحضر سبعة أصناف من الحبوب: بسلة قمح، فول أرز، ذرة، عدس المهم سبعة أصناف ونطبخهم مع بعض وكنا نودى للجيران كل واحد طبق نذوقه ونودى للحضرة بزاوية سيدى مدنى بالليل - لأن الحضرة كانت

بتتعمل بالليل - ثلاثة أو أربعة أناجر وكان شيخ الحضرة يعطى لكل واحد من الحاضرين ملعقة لأن كان فيه ناس كثيرة والملعقة دى نفحة باروكية .

وكان فيه ناس تندر ندر مثلا ابنها مسافر أو لو تحقق لها طلب فتقول مثلا لو ابنى جه من السفر لا دبح دجاجة واوديها اللخبطية فيفرقها أيضاً المسئول عن الحضرة على الحاضرين كل واحد ياخذ له نفحة .

والآن لم يعد هناك ذكر أو حضرة لكن مازلنا مستمرين فى عمايل اللخبطية ونفرقها على الجيران فقط . وعمل اللخبطية كان قاصرا على بيت واحد فقط هو الذى يعمل اللخبطية دى ، وده راجع لأن كبير هذا البيت هو الذى كان يتولى الإنفاق على الحضرة . وكان يقوم بجميع نفقاتها ولما مات انتهت الحضرة وبقى فقط عمل اللخبطية(١٥) .

ومولد النبى هو المناسبة التالية لعاشوراء وقبل أن نأتى إلى ذكر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف يجب أن نذكر منظومة أساسية أو ممارسة وجوبية - تؤدى فى هذا اليوم وفى يوم ٢٧ رجب بعض المناسبات الأخرى التى يتأتى ذكرها فيما بعد وتسمى بالمولد . وهذه الممارسة تؤدى بنفس الشكل وفى نفس المناسبات فى كل من قريتى بريس والقصر .

ولا يقام المولد فى كل منزل بالقرية ، ولكن هناك بعض الأفراد الذين تعودوا على إقامة هذا المولد فى تلك المناسبتين ، ففى باريس

يوجد حوالى ستة أفراد ومثلهم تقريبا فى القصر، ويستطيع أى فرد أن يقيم مولدا إذا شاء فهذا الأمر ليس قاصرا على هؤلاء الأشخاص فقط. ولكن من النادر أن يعمد إلى ذلك أحد لتكلفته المرتفعة ومن هؤلاء من توارث اقامة المولد عن أبيه .

وفى اليوم الذى سيقام فيه المولد سواء أكان يوم ١٢ ربيع أم ٢٧ رجب يجهز صاحب المولد الطعام. فكان سابقا يذبح خروفاً أو جديا أو أكثر على حسب مقدرته والآن يذبح أو يشترى لحوما وتتراوح الكمية المشتراه بين عشرين كيلو جراما وسبعين كيلو جراما. ويبدو أن شراء اللحوم أصبح هو السائد لتوفر الجزارين الآن ويحضر الأقارب والجيران للمساعدة فى تجهيز الطعام، ويقدم الطعام فى الفترة ما بين الظهر إلى قبيل صلاة العشاء. وذلك حتى يكون لدى الجميع الوقت الكافى لتناول الطعام. فربما يكون البعض مشغولا فى حقله أو عمله نهارا فيتناول الطعام فى المساء، والجميع يتناولون وجبة واحدة فلا يذهب لتناول العشاء من تناول الغذاء .

ويحضر البعض معهم سكرا وشايا وإذا كان أحدهم يسكن قريبا من مكان المولد يأخذ شايا جاهزا. ولا توجه دعوة لأشخاص بذاتهم فالمولد للجميع. ويقف صاحب المولد مع الناس أثناء تناول الطعام لكى يباشر توزيع الطعام فإذا كان الطعام قليلا عن مجموعة أو نفذ أمر بأحضار طعام لهم. وتناول الطعام يتم على الطبالى والصوانى»[١٦] .

هذا فى باريس أما فى القصر فالدعوة للطعام تكون بين المغرب

والعشاء وماحدث فى باريس يحدث فى القصر من مساعدة الأهل والجيران فى طهو الطعام[١٧] .

ويكون شكل جلسة المولد هكذا . يجلس المنشدون متجاورين ويتراوح عددهم بين ثلاثة وخمسة أفراد معهم طبلة ورق وربما أكثر من ذلك. هذه الآلات تنظم رد الردادين وتضفى على الأداء جمالا كما تجذب الناس فيحضرون، وحول المنشدون يجلس المرددون وغالبا ما يشارك جميع الحاضرين فى الرد خاصة إذا كانوا للإنشاد حافظين .

ويبدأ المولد بقراءة الفاتحة أو بعضا من آى الذكر الحكيم لمدة قصيرة، ثم يقرأ الحاضرون الفاتحة على رسول صلى الله عليه وسلم. وبعد ذلك يبدأ كبير الموالدية بفتح المولد. وهو اصطلاح يدل على أن المولد قد بدأ. ويبدأ بمديح النبى صلى الله عليه وسلم مثل :

مـــــدح النبى فى كل شىء أول

واكـــرر المديح فى ذكـــر النبى أول

لأن مـــولى الورى خلق النبى أول

من قـــبل آدم ظهـــر نور النبى أول

ويرد عليه الحاضرون وهم جلوس. وبعد الانتهاء من قصيدة الافتتاح يقول صلوا عليه .

بعد ذلك يقوم أحد المنشدين بإنشاد تواشيح دينية وبعد التواشيح يقرأ أحد المنشدين تنزيلة[١٨] (قصة) مثل قصة الجمل والغزالة أو معجزة نطق الضب للنبى صلى الله عليه وسلم ويتناول

المنشدون القصص لمدة طويلة ربما تستمر أكثر من ثلاث ساعات. وكل منشد يطلع طلعة لا يطلعها الآخر، أى : ينشد قصة لا ينشدها آخر.

ويستمر المولد هكذا إلى أن يريد صاحب المولد ختامه فيقول «عايزين لآلآة المولد» وأحياناً يطلب بعض الحاضرين الاستمرار - ولآلآة المولد أى قفل المولد عبارة عن نثر ينشد وتلآلآت الكائنات بطوالعه السعودية. وافتخرت الخلائق بقدومه والعرب والأعجام... فأخذها المخاض ووضعته صلى الله عليه وسلم نورا يتلألأ كالبدر التمام. ويجب علينا معشر الحاضرين والسامعين القيام عند ذكر مولده الشريف تعظيما لقدوم ذاته البهية. فيا سعادة من وقف له تعظيما على الأقدام. ويقف عندئذ الجميع وتنشد قصائد أخرى وهم وقوف مثل :

صـــــلاة اللـه ربى ذى الجـــــلال
علـى نـور الهـــدى باهى الجـــمـــال
وتـسـليـم من المـولى القـــــديـر
عـلـى طـه المكمـل بـالـكـمـــــال

ويختم المولد بإنشاد نثرى مثل أول ليلة من ليالى حمله صلى الله عليه وسلم أغلقت أبواب الجحيم وفتحت أبواب الجنان الرضوانية واطلع الحى القيوم وتجلى برحمته ورضوانه «وهكذا يختتم المولد ويمكن حسب رغبة الحاضرين أن تقام حلقة ذكر[١٩] .

وتشاهد السيدات فى باريس هذا المولد حيث يجلسن فى الخلف

وبانتهاء كل قصيدة يزغردون . ولكنهن لا يشاركن في الأداء وأحيانا يهمسن ولكن بصوت خفيض .

وهذا هو شكل الاحتفال بالمولد النبوى فى كل من باريس والقصر وأضيف الآن إلى هذا الاحتفال شراء حلاوة المولد التى لم تكن موجودة من قبل .

يضاف إلى ما سبق أنه فى قرية القصر يمكن أن يتفق بعض الأفراد على الاحتفال بالمولد النبوى فيجمعون النقود من بينهم - وربما يكون ذلك راجعا إلى التكلفة العالية ويشترون اللحوم وحلاوة المولد، ويطهى الأكل ويرسل إلى الجامع بعد صلاة المغرب وهناك غير هؤلاء من لا يشارك معهم بالنقود ولكنه يرسل طعاما إلى الجامع. وتدعى الناس -خاصة الفقيرة- للطعام وبعد صلاة العشاء يقام المولد بالصورة السابقة[٢٠] .

ولا نعرف سببا لإقامة المولد فى الجامع بالقصر بدلا من المنزل كما فى باريس فهل هذا للتبرك أم لضيق المنزل عن استيعاب الحضور خاصة فى القصر القديمة حيث كانت المنازل صغيرة ومتلاصقة .

ولا يتقاضى المنشدون أجراً سواء منشدو باريس أو القصر وهم من أهل القرية حيث لا يحيى المولد أحد من خارج القرية .

والموسم أو المناسبة الدينية التالية لمولد النبى هى جمعة رجب[٢١] وهى الجمعة الأولى منه وكان أهالى الواحات فى بدايات هذا القرن يذبحون يوم الخميس حيث لابد من طهى اللحوم فى ذلك اليوم.

كـمـا كـانوا يرسلون هدايا من اللحم لبنـاتهن المتـزوجات ويطلقـون عليه اسم العشاء وكانت توزع الصدقات فى هذا اليوم(٢٢) .

واستمرت هذه العادة حتى يومنا هذا فى كل من باريس والقصر فلابد من شراء اللحوم أو ذبح أى نوع من الطيور. وتتجمع الأسرة كلها على العشاء وقلت ظاهرة إرسال اللحوم للبنات المتزوجات حيث يحضرن الآن لمنزل الأب ويتناولن العشاء جميعا وإلى وقت قريب كان يعمل فطير نشابة في تلك المناسبة وكذلك أقراص بالعجين والسمن البلدى وتوضع فى الفرن مثل الفطير المشلتت وذلك فى باريس(٢٣) .

وفى القصر تخرج الحريم - على حد تسمية الراوى لزيارة لابد منها ألا وهى زيارة المقابر : لقراءة الفاتحة والدعاء للأموات ويأخذن معهن فطائر ولحوم ليوزعنها على الفقراء، وعلى من يتلون القرآن فى المقابر، وموعد تلك الزيارة عصر يوم الجمعة .

ويتشابه احتفال الإسراء والمعراج (٢٧ رجب) فى كل ممارساته مع احتفال جمعة رجب والإضافة الوحيدة فى هذه الليلة هى إقامة بعض الأفراد - كما فى مولد النبى للمولد بنفس الشكل السابق ذكره مع إنشاد بعض القصائد التى تخص المناسبة مثل :

فقل ما شئت مد حافى محمد
من البيت الحرام سرى محمد
وبه أسرى جبريل اتاه
لبيت نائم فيه محمد

فـــأيقـظه وقـــال له حـــبـــيـــبـــى

لقـــــد ناداك ربك يا مـــحـــمـــد

كما تختم القصائد بهذا البيت :

يـاربِّ صلى على الســاعى إلى الرتب

فى ليلة الســابع والعشـرين من رجب[٢٤]

ويمكن أن تقام حلقـة ذكـر بعـد انتـهـاء المولد حسب رغبـة الحاضرين . ويستمر المولد إلى ما بعد منتصف الليل وأحيانا يستمر حتي مشارف الفجر . ويحكم هذا رغبة الحاضرين فى الاستمرار أو عدم الاستمرار .

والاحتفال بالمولد النبوى، و٢٧ رجب بهذا الشكل لم يطرأ عليه تغـيـيـر يذكـر منذ عـشـرات السنين، حيث توارث الأبناء عن الأباء مسـئـوليـة الاحتـفـال بالمولد وبليلة ٢٧ رجب، ولم يخضع هذا الاحتفال لأى تغيرات سواء فى الأداء أو شكل الحضرة أو الذكر أو تناول الطعام، فهو كما كان منذ عصر الأباء والأجداد على حد ذكر الرواة .

ويهدف هذا المظهر الاحتفالى باليومين (مولد النبى و٢٧ رجب) إلى مدح الرسول وذكره والدعاء له وللجميع وأيضاً اكتساب الثواب بإطعام الفقراء وغيرهم وخدمتهم فى هذا اليوم .

ونصف شعبان[٢٥] هو المناسبة الدينية التالية للإسراء والمعراج ويكتب مصطفى فهمى عن نصف شعبان فيقول «لا يوجد فرق يذكر بين هذا الموسم والذى قبله، إلا أنه فى ناحية الخارجة يعدونه

من أعظم المواسم عندهم فيحتفلون به احتفالا هائلا وذلك بأن يحملوا على جمل خدرا مكسوا بقماش أخضر من كسوة بعض أولياء البلد ويطوفون به حول البلد تتقدمهم الطبول والبازات والبيارق وغيرها إلى قرب المغرب فيجتمعون عموما فى فضاء متسع قبلى الناحية ويصلون جماعة وبعد قراءة الدعاء المبارك يعودون إلى منزل العمدة حيث تكون قد ذبحت لهم الذبائح من عنده فيأكل جميع الفقراء والأهالى وفى اليوم الثانى يأكلون جمعياً عند شيخ الطرق الذى يجهز لهم طعاما كطعام العمدة تماما»(٢٦) .

أما الآن فى باريس فيطلقون على نصف شعبان «ليلة النص» ويحنى الأطفال فى تلك الليلة، ويقولون فيها «وسع على عيالك» ويحتفل جميع أهل القرية بهذه الليلة(٢٧) .

ويرسل رب الأسرة لأبنائه ذكورا وإناثًا والمتزوجين بعيدا عنه أنصبة من اللحم والكعك، وهم بالمثل يرسلون إلى والديهم. ولاينسى الفقراء فى هذه الليلة حيث يرسل لهم جيرانهم أنصبة من اللحم والخضار المطهى والكعك وكل هذا يرسل ليلة النصف من شعبان. ولا يوجد فرق فى ممارسة هذه العادة بين الفقير والغنى فالجميع يطهون لحوما ويخبزون كعكا والفارق فقط هو فى الكم والنوع(٢٨) .

وفى مساء هذا اليوم يلتئم شمل الأسرة فيحضر المتزوجون والمتزوجات إلى بيت الأسرة (الأب) حيث يجتمعون حول العشاء. وحتى العقد السادس من القرن العشرين كان يمر قارئ قرآن على

منازل الأثرياء بصفة خاصة لأنهم هم القادرون على منحه بعض الأعطيات العينية، ويقرأ مع الأولاد الصغار القول التالى وهم يردون عليه «اللهم ياذا المن ولايمن عليه. اللهم ياذا المن والجلال والإكرام. اللهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما وسع على رزقى وأتمم عافيتى.. «وبعد أن ينتهى من القراءة يذهب إلى منزل آخر ليقرأ مع أولاد هذا المنزل وهكذا. ولم تك تلك القراءة قاصرة على المنازل فقط بل كان يجتمع حشد من الأطفال فى مكان خال ومعهم شيخ كبير يقرأ معهم الدعاء السابق، وكان بعض الآباء يقومون بهذا الدور، الآن لم يعد ذلك موجود إلا عند عدد محدود من الأسر[٢٩] .

ويحتفلون الآن بنصف شعبان فى القصر كاحتفالهم بجمعة رجب من حيث شراء اللحوم واجتماع الأسرة فى هذا اليوم أمر ضرورى ولتبيان أهمية اجتماع الأسرة فى هذا اليوم يذكر الراوى أنه لو عزم عليه أحد أو دعاه أحد وهو سائر فى الطريق يقول له معلهش عشان تقعد مع عيالك «كما أن المظهر الاحتفالى هو هو لم يتغير منذ أن وعى الراوى الحياة حتى الآن أى منذ حوالى ستين عاما[٣٠] .

والاختلاف الوحيد فى المظهر الاحتفالى عن جمعة رجب كما يذكر الحاج عثمان أبو بكر هو أنه بعد صلاة المغرب وركعتى سنة المغرب نصلى ركعتين بنية طول العمر وتكون الصلاة جماعة ولا يجهر بها، وبعد السلام يقرأ جميع المصلين سورة يس وتكرر ثلاث مرات الآية التالية «سلام قولا من رب رحيم»[٣١] أو ليس الذى خلق

السمـوات والأرض بقـادر على أنه يخلق مـثلهم بلى وهو الخـلاق العليم[٣٢]، إلى أن نكمل السـورة ثم يقال الدعـاء التالى حيـث يقوله واحد من الحاضرين ويرد الباقى عليه .

«اللهم ياذا المن ولايمن عليـه . ياذا الجـلال والإكـرام. ياذا الطول والإنعـام، لا إله إلا أنـت ظهـر اللاجين (اللاجـئين إلى الله) وجـار المسـتجيـرين وأمـان الخـائفين. اللـهم إن كنت كـتـبتنـى عندك فى أم الكتـاب شقيـا أو محـروما أو مطروداً أو مـقتـرا على فى الرزق فامحو اللهم بفـضلك شقـاوتى وحـرمانى وإقتـار رزقى واكتبنى عندك فى أم الكتـاب سعيدا مرزوقا موفيـا للخيـرات فإنك قلت وقولك الحق فى كـتابك المنزل على لسـان نبـيك المرسل يمحـو الله مـا يشـاء ويثـبت وعنده أم الكتاب. إلهى بالـتجلى الأعظـم فى ليلة النصف من شعبان المعظم الذى يـفرق فيـه كل أمـر حكيـم ويبـرم. اكـشـف عنا البـلاء ما نعلم وما لا نعـلم وما أنت به أعلـم إنك أنت الأعز الأكـرم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم[٣٣] .

وبعـد ذلك نصلى ركـعتين بنيـة توسيع الـرزق ونقـرأ سـورة يس بنفس الطريقـة ونفس الدعـاء، وبعـد ذلك الفاتحة للرسـول صلى الله عليـه وسلم وبيتـه. ويسلمـون على بعضـهم البعض مـهنئين بعضـهم بعضـا بالقول «كل سـنة وأنتم طيبين، والبـعض يحتـفل بقراءة الفـاتحة فى البيـت والبعض الآخـر يجتـمع ويقرأ تواشيـح ويتم هذا بعـد صلاة العشاء[٣٤] .

ويلاحظ من العـرض السـابق أن الاحـتفـال بنـصف شعبـان يأخذ

الشكل الديني فيغلب عليه طابع التعبد والرحمة والتكافل بين الأسرة حيث يلتئم شمل الأسرة في ذلك اليوم كما يتسم سلوك الأفراد بالود والتعاطف فيهادى بعضهم البعض بالطعام. وكذلك يهادى القادرين الفقراء والمحتاجين .

ولم يحدث في هذا المظهر الديني الذى يصاحب نصف شعبان تغير يذكر سوى في عدم تردد الشيخ على المنازل للدعاء مع الأولاد وذلك في باريس. وربما يكون ذلك راجعا إلى انتشار التعليم وأجهزة الإذاعة والمرناة وربما أيضا لعدم احتياج المشايخ بعد تعيينهم في الأوقاف هذا في باريس .

أما في القصر فلم يحدث تغير يذكر في مظاهر الاحتفال فاستمر شكل الاحتفال بنصف شعبان كما هو ، ويلاحظ أيضاً شدة الحرص على التجمع الأسرى في ذلك اليوم، مما ذكر سابقا من أنه إذا دعى أحد الأشخاص صديقه المار عليه للجلوس معه في هذا اليوم يكون الرد «معلهش عشان تقعد مع عيالك» .

ولا يكاد يمر خمسة عشر يوما على نصف شعبان حتى يهل شهر رمضان أفضل شهور العام لدى المسلمين لمكانته الدينية لديهم، ولا يحظى شهر من شهور العام بحب الجميع وتشوقهم له كبارا وصغارا نساء ورجالا مثل شهر رمضان فهو شهر التلاقي والولائم والدعوات والزيارات للكبار واللعب للصغار .

ونستطيع القول بأن شهر رمضان بأكمله -من أول يوم فيه إلى آخر يوم- شهر احتفالي وهو الشهر الذى تحتفظ فيه ذاكرة الإنسان

بكثير من ذكرياته وأيضاً هو الشهر الذى يحن إليه دائما فكيف يحتفل بشهر رمضان فى بلدان الواحات ؟

يذكر مصطفى فهمى «أن الاحتفال بشهر رمضان فى أوائل القرن العشرين كان لا يختلف عن احتفال أول رجب» إلا فى أنهم لا يرسلون شيئا إلى بناتهم ويتحتم على كل منزل أن يخبز ما يكفيه لمدة العشر أيام الأولى من الشهر وبعضهم وهم القليل جدا يستحضرون فقهاء لترتيل القرآن ليلا وأجرة الفقيه شيء مقرر من قديم وهو جنيه أفرنكى وويبة قمح وعشرة أذرع قماش مصبوغة وشال وعمامه يأخذها فى آخر الشهر»[٣٥] .

وواضح أن أجر القارىء مبالغ فيه حيث إن مبلغ الجنيه الأفرنكى مبلغ ضخم فى ذلك الوقت ويتضح ذلك من قراءة البحث وما هى قيمة النقود حتى أواخر العقد السادس .

وحتى أوائل العقد السادس من هذا القرن لم تكن الاذاعة قد انتشرت فى باريس ولذلك يعمد أهل باريس للخروج خارج القرية لرصد هلال رمضان ولنترك أحد الراصدين يحدثنا عما كان يحدث فى ذلك اليوم «ليلة رؤية[٣٦] الهلال كنا نشوفه من الغرب لسه تو طالع أيه .. زى السعفة (سعفة النخيل) كده لسه يعنى صغير خالص. والسعفة دى بتاعة واد يوم ولا واد يومين (ابن يوم ولا ابن يومين) وأول ليلة مايشوفشى إلا اللى نظره قوى. تانى ليلة اللى ماشافوش ليلة امبارح بقى يشوفه فى الليلة التانية والبلد كلها تطلع تشوف الهلال وأول مانشوفه نقول الله أكبر شهر مبارك، هل هلاله

اللهم اجعله شهر سعيد وبخيت علينا .

وعندما تثبت رؤية الهلال ندور بالطبل[٣٧] ومعانا العيال ونقول:

يا رمضان يا أبو شخليلة

أول سحورك الليلة

يا رمضان يا ابوصحن جديد

آخر سحورك ليلة العيد

يا رمضان يا أبو صحن نحاس

يا داير في بلاد الناس[٣٨]

وببداية رمضان كان يعرف موعد الإفطار من الجامع حيث كان هناك جامع وحيد فقط فى القرية وكان أطفال القرية جميعها يذهبون عند هذا الجامع حيث يجلسون فوق غرد مرتفع وعندما يرون المؤذن يهم للآذان يجرى كل طفل إلى بيته وهو يصيح «ادن .. ادن والصايم يفطر» ولا تتناول الأسرة إفطارها إلا بعد أن يصل ابنها الذى أرسلته إلى الجامع ويستمر هذا حتى ينتهى شهر رمضان»[٣٩].

وانقرضت ظاهرة استطلاع الهلال وأيضاً انتظار الأطفال للآذان بدخول المذياع وميكروفونات المساجد. وبقى استطلاع الهلال وجرى الأطفال ذكرى فى وجدان الناس يتلهفون للحكى عنها إحياء لذكرى أيام جميلة خلت .

ورغم أن ما سبق كان ذكرى إلا أن هناك عادات استمرت. ففى أول أيام رمضان كان - الإفطار والسحور ومازال إلى حد ما -

يشتمل على شعرية[٤٠] لأن الشعرية فى تقاليد باريس من علامات الفرح وعادة من عاداته واحتل الفول الآن مكانة الشعرية فى السحور وإن كان هذا لا يمنع وجودها فى السحور حيث مازالت بعض الأسر تقدمها فى السحور[٤١]. كما عرفت الكنافة والقطايف وأيضاً الزبيب والفانيليا .

ومن مظاهر رمضان المحببة إلى النفس خاصة الأطفال - المُسحِّر - حيث يخرج الأطفال خلفه مهللين وينتقلون معه من شارع إلى شارع مستمتعين بصوته الشجي مصاحبا لدقات العصاة على الطبلة منشدا .

يا نايم قوم وحد الدايم

يا نايم قوم وحد الله

أنا بأمدح إلى خطاع الرمل لم علم

بالهداية النبى لم له خطيب علم

واجب على امدحه من قبل ما

اتكلم كلام اقول لكم عليه

رب العباد ع المصطفى صلى نقول

لا إله إلا اله يا نايم قوم وحد الدايم

وأثناء أدائه لهذا الغناء ينادى المسحر على الناس بأسمائهم داعيا اياهم للاستيقاظ ويستمر فى جولته هذه إلى أن يلف القرية بيتا بيتا[٤٢] .

وتدور الأيام ويبقى المسحر إلى الآن يلف القرية ولكن بدلا من

مسحر واحد أصبح الآن اثنان حيث ازدادت مساحة القرية ولكل واحد منهم منطقة خاصة به. ولم يعد الأطفال يمشون خلفهما، وإن ساروا فلمسافة قليلة يعودون بعدها إلى ما كانوا فيه من لعب أو جلوس أمام المرناة.

والمسحر هنا في باريس كالمسحر في جميع أرجاء مصر ليس له أجر معين على ما يقوم به كما أنه ليس هناك أشخاص محددة تدفع له ولكنه في آخر رمضان يأخذ ما يجود به عليه الناس.

ويتميز شهر رمضان بأنه أكثر شهور السنة بهجة واحتفالا فالجميع فرح مسرور ويكثر فيه تبادل الزيارات والسهر في جماعات سواء في المنازل أو أمام أبواب المنازل في الشارع. ودائما ما تطالع المار تلك الحلقات السمرية، والتي تستمر إلى قرب السحور، وهذه الظاهرة مستمرة إلى الآن وإن اجتذبت المرناة البعض.

وفي العشر الأواخر من رمضان يبدأ الجميع في التجهيز لعيد الفطر كما سبق القول ويتخلل هذه الأيام ليلة القدر في السابع والعشرين حيث يقيم بعض الأفراد كل بمفرده احتفالا بهذه المناسبة فيذبح كل منهم على حسب مقدرته بداية بذوات الأربع وانتهاء بذوات الأجنحة ويدعو الأهل والجيران للإفطار سويا في تلك الليلة، وبعد الإفطار يصلون العشاء والتراويح في الجامع وبعد الصلاة يقومون بتوديع شهر رمضان في الجامع بالإنشاد ويطلقون عليه توحيش حيث ينشد أحد الأفراد ويكرر خلفه الباقون الإنشاد مثل :

شـهـر الصـيـام مـفـضـل تفـضـيـلا
ونـويـت مـن بعـد المقـام رحـيـلا
قـد كنت شـهـرا طيـبـا ومـبـاركـا
ومـبـشـرا بالعـفـو من مـولانا
بالله يا شـهـر الهنا مـاتنسـانا
لا أوحش الرحـمن فـيك صـلاتنا(٤٣)

كما كانت هناك بعض الأسر التى تدعو بعضا من أهل القراءة ليتلوا القرآن في المنزل طوال شهر رمضان تبركا وتقربا إلى الله .

وما كان يحدث فى باريس كان يحدث مثله فى القصر حيث يخرج أصحاب النظر الحاد إلى الجبل ليراقبوا الهلال . وإذا ثبتت رؤية الهلال يحضر أهل القصر طبلة كبيرة وتلف الطبلة البلد ويكون هذا إعلاناً بأن غدا رمضان . ولم يكن هناك غناء يصاحب الطبلة ، ولكن كان يصاحبها مجموعات كثيرة من الرجال والأطفال والآن أصبح الإعلان بالراديو والمرناة واختفت الطبلة من حياة أهل القصر فى تلك المناسبة(٤٤) .

وبإعلان بداية رمضان يبدأ الجزارون فى الذبح ويشترى الجميع غنيهم وفقيرهم اللحوم ، والاختلاف فى الكمية المشتراه فقط حيث جرت العادة على تناول اللحوم فى أول أيام رمضان وتنوعت مائدة رمضان(٤٥) فعرفت الكنافة والقطايف وقمر الدين .

ونفس ما كان يحدث فى باريس قبل ظهور الإذاعة كان يحدث فى القصر ، حيث يجلس الأطفال بجوار الجامع ، وعندما يؤذن المؤذن

أذان المغرب ينطلق الأطفال إلى بيوتهم قائلين وهم يجرون أذن .. أذن .. والصايم يفطر [٤٥] .

وسابقا وحتى وقت قريب لا يتجاوز ثلاثون عاما لم تعرف القصر المسحر. وكانت عملية التسحير تتم بأن يصعد أحد المشايخ على مئذنة الجامع وينشد أناشيد معينة فيعرف الناس أن هذا هو موعد الإمساك. وكان الشيخ يحدد موعد السحور بالنظر إلى النجوم، والآن يتم التسحير بالضرب على طبلة حيث يلف المسحر القرية داعيا الناس - إلى السحور ويتجمع الاطفال حول المسحراتي لفترة ثم ينصرفون ويأتي غيرهم وينصرفون أيضاً وهكذا..[٤٧] .

وابتداء من يوم عشرين رمضان يعتكف البعض في المساجد ويكثر البعض الآخر من الذهاب إلى المساجد لقراءة القرآن والتعبد ولا يكون هناك احتفال معين بليلة القدر كالإنشاد أو الذكر والاحتفال يكون قاصرا على قراءة القرآن والتعبد[٤٨]. كذلك هناك بعض الأسر الثرية التى تدعو بعض القراء ليتلوا القرآن خلال شهر رمضان كما فى باريس .

وتبدأ السيدات أيضاً في الاستعداد لعيد الفطر في العشر الأواخر من رمضان كما سبق القول .

من هذا العرض نجد استمرار المظاهر الاحتفالية للاحتفال برمضان مع تغير الممارسات المصاحبة لهذا الشهر وكذلك تغير بعض العادات الغذائية .

فنجد أن هناك تغيرا حدث في مظاهر الاحتفال بشهر رمضان

نتيجة عوامل شتى منها ما هو نتيجة تقدم سبل الاتصال، ومنها ما هو ناتج عن احتكاك ثقافي، ومنها ما هو حصيلة نشاط اقتصادى أو ظهور منتجات أدت إلى بروز أنواع غذائية جديدة .

فتقدم وسائل الاتصال من مذياع ومرناة[٤٩] أدى إلى عدم الحاجة إلى استطلاع هلال رمضان كما لم تعد هناك ضرورة لانطلاق الأطفال بعد انتظارهم آذان المغرب لإعلان - ذويهم بأن موعد الإفطار قد حان .

ورغم هذا التقدم بقى ذلك الجوال الذى يحمل فى يده طبلة يضرب عليها باليد بالأخرى مارا بدروب القرية وحواريها بنفس الطريقة التى كانت منذ عشرات السنين بل مئاتها داعيا الناس للاستيقاظ مناديا على كل فرد باسمه، ولكن عبر السنين وتواليها تناقصت أعداد الأطفال الذين يلقون معه فرحين به مبتهجين بإيقاع وإنشاد المسحر .

والأمر الملفت للانتباه هو أن هذا المسحر لم تعرفه القصر إلا فى السنوات الأخيرة، بعد أن كان التسحير يتم من على مئذنة الجامع بإنشاد معين لأحد المشايخ ولم نجد تفسيرا لهذا التحول لدى أهل القصر .

ويبدو أن استمرار المسحر راجع إلى أن الأذن تعودت على تواشيح وآذان الفجر من المساجد طوال العام، ولابد للتسحير فى الشهر الكريم من أداء مختلف يميزه ولذلك استمر فضلا عن أن المسحر يقوم بالمنادة على كل فرد باسمه وهذا أمر يرضى النفس لما

فيه من اهتمام، ولذلك استمر، وإن كان أداؤه الآن أصبح آليا وصدى لما كان يحدث من قبل، فلم يعد أحد يهتم بأن يستيقظ على دقاته، ولكنه رغم هذا استمر فهو معلم من معالم الشهر الفضيل .

كذلك كان لاستقرار الناس بكثرة من وادى النيل بالواحات بداية من العقد السابع من هذا القرن وإنشاء شركة التعيمر وازدياد النشاط التجارى بين وادى النيل والواحات، بالإضافة إلى عمل كثير من أبناء الواحات بمدن وادى النيل خاصة القاهرة، وكذلك انتشار أجهزة الإعلام كل هذا كان له أثر كبير في ظهور أشكال من الطعام لم تكن معروفة فى الواحات من قبل وأيضاً دخول عادات غذائية جديدة كتناول الفول في السحور ومنافسة الأرز للشعرية بل وأخذ مكانها وأيضاً طهى الخضراوات وإضافة الفانيليا والبكنج بودر فى الكعك وعمل الكنافة والقطايف وغير ذلك .

ومما سبق من تناول لمظاهر الاحتفال فى المناسبات الدينية يتبدى لنا أن الطعام هو العنصر الأساسى فى الاحتفال ولابد من احتوائه على اللحوم وكذلك لابد من دعوة الأسرة وجميع الأبناء لتناوله معا وإرسال أنصبة من الطعام إلى البنات المتزوجات كل هذا يحكمه عامل دينى يتمثل فى القول المأثور: «من وسع على عياله فى الدنيا وسع الله عليه بالآخرة».

وأن بعض تلك المظاهر له جذور تاريخية، كما يبدو من اعتراض ابن الحاج على ذبح الدجاج فى عاشوراء وطبخ الحبوب (اللخبطية في القصر) والمسحر والطبل فى رمضان. ولكن لا يوجد لدينا الآن

تفسير لماذا تظهر ممارسة ما فى مكان وتختفى فى مكان آخر رغم تشابه البيئتين على سبيل المثال وجود اللخبطية فى القصر وعدم وجودها فى باريس .

ويتضح أيضاً من كلام ابن الحاج أن المواسم الدينية الشرعية ثلاث فقط هى العيدان وعاشوراء وأن باقى المناسبات التى يحتفل بها ليست لها صفة الشرعية ، فهل لنا أن نعتبرها مناسبات دينية شعبية احتفل بها الناس منذ زمن بعيد لانعرف تاريخه واستمرت حتى الآن يحتفى بها احتفاء عظيما كمولد النبى ونصف شعبان والإسراء والمعراج .

كذلك الاهتمام الزائد ببعض المناسبات دون غيرها وأيضاً تبادل الهدايا وإرسال الطعام لبنات الأسرة المتزوجات فى مواسم بعينها فقط دون النظر إلى كونها مناسبات شرعية أم لا أمر ملفت للانتباه وللتساؤل ؟ ولكنه ليست له إجابه . ولكن هل نستطيع القول بأن المناسبات التى يهتم الاحتفال بها نجدها أيضاً هى نفس الأيام التى يستحب الصيام فيها كعاشوراء ونصف شعبان .

فنجد أن رأس السنة الهجرية وجمعة رجب يحتفل بهما احتفالا عاديا لا يشعر به أحد خاصة رأس السنة الهجرية . وكما سبق القول بأنه ربما كان ذلك راجع إلى أنه بعد تسعة أيام يحل الاحتفال بعاشوراء الذى يحظى من الناس باهتمام كبير وأيضاً هو من المواسم الشرعية كما يذكر ابن الحاج . .

ويلاحظ كلف الناس بهذا اليوم والاحتفاء العظيم الذى يبدونه

نحوه وتشابه الاحتفال بهذا اليوم فى كل من القصر وباريس، وتفرد أسرة فى القصر بممارسة العادة القديمة في مصر وهى عملية صنع اللخبطية .

وأيضاً اقتصار حفل المولد على مناسبتين فقط هما مولد النبى، ٢٧ رجب وهى كما تعرف ليلة الإسراء والمعراج. وقد سألت البعض في كل من باريس والقصر عن سبب اقتصار حفل المولد على هذين اليومين فقط. فلم أحظ بإجابة، ولكن من الواضح أن هذين اليومين خاصين بالنبى صلى الله عليه وسلم، فيوم منهم خاص بمولده عليه الصلاة والسلام ،والآخر خاص بالإسراء والمعراج لذلك اقتصر حفل المولد والذى جميع إنشاده مديح فى النبى صلى الله عليه وسلم- على هذين اليومين .

شراء اللحوم الآن فى جميع المناسبات بخلاف ما كان يحدث من ذبح الأغلبية للطيور فى تلك المناسبات بعكس ظاهرة خطيرة ونمط أصبح سائدا وهو نمط الفلاح المستهلك وليس الفلاح المنتج لأن اللحوم تشترى ولكن الطيور تقتنى .

وفى تلك المناسبات لا نكاد نشعر بالفرق بين القادرين وغيرهم حيث لا يتبدى الفرق إلا فى المقدرة على الذبح أو شراء كميات أكثر وكذلك إقامة بعضهم للمولد فى مناسباته وفى كميات الكعك المخبوز والإضافات التى تستخدم من سكر وسمن وفانيليا فهناك كعك هش يذوب في الفم وهذا يعجن بالسمن واللبن وآخر أكثر تماسكا ويعمل باللبن والماء كل حسب مقدرته .

وفى رمضان يتبدى الفرق أيضاً فى عدد مرات عمل الكنافة والقطايف، وأيضاً فى الإضافات من زبيب وسكر كما ينتشر الجوز واللوز فالموسرين على الأقل يأكلونها فى كل أسبوع أما غيرهم فربما مرة خلال رمضان .

ويمكننا القول بأن جميع احتفالات المواسم الدينية هى احتفالات خاصة بالكبار فى الأغلب ولا يشعر بها، ولا يهتم بها الصغار عدا شهر رمضان، فالاحتفال به والفرحة تعم الكافة الصغير والكبير من الجنسين والاحتفاء به يستمر طوال أيامه المباركة فشهر رمضان ليس كغيره من المناسبات الدينية يحتفل به يوم المناسبة فقط . ويلاحظ أن مظهر الاحتفال به لا يتبدى فى طبل أو غناء أو ذكر أو غير ذلك ولكنه يتضح فيما يعلو الوجوه من بشر ومن سهر واختصاصه بأنواع معينة من الطعام كالكنافة الآن والشعرية سابقا كما يتبدى أيضاً فى سلوك التواد والتراحم بين الناس وعطف الغنى على الفقير .

ورغم أن هذه المناسبات دينية إلا أن الاحتفال بها يأخذ بالإضافة إلى الطابع الدينى المتمثل فى الصوم وقراءة القرآن والدعاء طابعا شعبيا متمثلا فى حلقات المولد وفى ضرورة تواجد اللحوم على مائدة الطعام فى هذه المناسبات وتعليق الشعار على الأبواب .

كما كان للعزلة التى فرضتها البيئة على القرى أثر واضح فى زيادة الترابط والتعاون بين الناس ومد يد المساعدة والعون من القادر إلى غير القادر، كما أدت هذه العزلة إلى زيادة التماسك الأسرى،

وأدى الفقر فى الموارد الاقتصادية إلى ارتفاع مكانة رب الأسرة فهو الآمر المطاع فليس هناك موئل غيره، وكان للعزلة أيضاً دورها فى زيادة اهتمام الناس بتلك المناسبات خاصة فى الفترة التى سبقت انتشار المواصلات والمرئيات - حيث كانت تمثل قطعا فى الحياة الرتيبة التى يحبونها وخروجا عن النمط اليومى السائد طول العام، فلذلك كانت هذه المناسبات مصدرا للسعادة والبشر بين الجميع .

الهوامــــش

١- إبراهيم اسماعيل، ٧٠ سنة، باريس مزارع، باريس، نسخة ٧٩ وجه ١ - ١٩٩٢ باريس، شوقى عبد القوى .

٢- حلمى سيد حنفى، أصل رقم ٦ و٢، ١٩٩٢، القصر نفسه.

٣- يتضح من هذا أنه لابد من ذبح حمام حتى للرضيع الذى لا يستطيع الأكل ويبدو أن وراء ذلك معتقد لم يفصح الكاتب عنه، وأعتقد أنه تمنى الحياة للرضيع حتى يشاركهم .

٤- مصطفى فهمى، نفسه، ص١٣٣ - ١٣٤ .

٥- شجرة تنمو برياً وليس لها استخدام نافع ودائمة الاخضرار وجاء فى تاج العروس (أن بها حراق مثل القطن يُحشى فى المخاد» وبها مادة لبنيه تضر العين» .

معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى، جمع محمود مصطفى الدمياطى، مادة عشر، ١٩٦٦ .

عشر. عشار، نبات ذو عصارة لبنية أكالة تستعمل فى نتف الشعر، وتعرف باللبانة المغربية، يستخرج منها المطاط. بذوره محاطة بوبر صوفى تحشى به المخاد والمراتب ويكنى النبات بترياق السموم .

٦- عادة ذبح الدجاج فى عاشوراء عادة قديمة فى مصر حيث يعترض ابن الحاج على هذا الفعل فى هذا اليوم لأنه ليس من الشرع فى شىء .

ابن الحاج (ت٧٣٢هـ)، الموصل إلى الشرع الشريف، مصر د.ت جـ١، ص٢٨٩ .

٧- حسن محمد حسين، ٧٣ سنة، باريس مزارع، باريس ش١ و١، ١٩٩٣ باريس، شوقى عبد القوى.

٨- حسن محمد حسين، نفسه، عبد المنعم أحمد عبد الرحمن، ٦٢ سنة باريس مزارع، باريس، ش١، ١٩٩٣، باريس نفسه .

٩- تسجيلات مركز دراسات الفنون الشعبية .

١٠- مقطف صغير من الخوص .

١١- أبو بكر محمد عوض الله، ش٤١ و١ عن الأصل ٦٣٤، ١٩٧١، القصر عبد الحميد حواس ويحدث فى موط بالداخلة نفس ما كان يحدث بالقصر والاختلاف

الوحيد هو تعليق القوادس التي بها الدواجن على يمين باب البيت من الخارج حتى إذا مر أحد الأشخاص وأراد تناول شيء من الطعام يرحب به . وهذا دليل على الكرم .

آمنة السيد عبدالله ٢ ش، ٤ و٢ عن الأصل ٦٣٤، ١٩٧١ موط أ.عبد الحميد حواس .

١٢- وأيضاً في كل من الجديدة وبدخلوا بالداخلة كان يذبح لكل فرد فرخة وعدد من البيض الذي يلون ويوضع هذا وذاك في القادس أيضاً ولكن الآن عام ١٩٧١ لم تعد كمية الدواجن تكفي لذلك تعمد بعض الأسر إلى ذبح جدي أو شراء لحمة ويوضع للطفل لحوم بدلا من الفراخ.

خضر سالم محمد، شاذلي على زين عبدالله (الجديدة) نسخة ٦٣٤، ٢، ١٩٧١ الجديدة، أ. عبد الحميد حواس .

نصر نصر محمد (بدخلو) من أصل ٤٠ و١، ١٩٧١ بدخلو، أ. عبد الحميد حواس .

١٣- رشدي منير الديناري، مدرس لغة إنجليزية، القصر، ش ٨٧، ٢، ١٩٩٢ القصر .شوقي عبد القوي .

١٤- عادة قديمة في مصر وإن كانت غير منتشرة الآن حيث يعترض ابن الحاج على طبخ الحبوب لأنها ليست من الشرع في شيء. ابن الحاج، نفسه، جـ١ ، ص٢٨٩ .

١٥- حلمي سيد حنفي، نفسه، ش٨٧، ٢، ١٩٩٢، القصر شوقي عبد القوي .

١٦- حسن محمد حسين، باريس، ش١، ٢ ١٩٩٣ باريس، شوقي عبد القوي .

١٧- عثمان أحمد أبوبكر، ٥٢ سنة القصر، مأذون، القصر، ١٩٩٢ .

١٨- سميت تنزيلة لأن الكل يرد فيها، عثمان أحمد أبو بكر، نفسه .

١٩- عثمان أحمد أبو بكر، نفسه .

٢٠- صالح أحمد بكر، القصر، مزارع، القصر ١٩٩٢، شوقي عبد القوي .

٢١- يرى ابن الحاج أن المواسم الشرعية ثلاثة فقط هي العيدان وعاشوراء وماعدا ذلك ليس من المواسم الشرعية.

ويعترض على الاحتفال بأول رجب وجمعة رجب و٢٧ رجب بالأكل والشرب بل يجب أن يكون الاحتفال بالتعبد فهو أول الأشهر الحرم وأول شهور البركة وافتتاح تزكية الأعمال، لا بالأكل والرقص ولا بالمفاخرة بالطعام والهدايا. وكما هو واضح أن هذه العادات مازالت مستمرة. وأنها كانت موجودة أيام ابن الحاج في القرن الثامن الهجري .

ابن الحاج، نفسه، جـ ١، ص٢٩٣ .

٢٢- مصطفى فهمي، نفسه، ص ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

٢٣- إبراهيم إسماعيل، نسخة ١,٧٩ ١٩٩٢ باريس نفسه .

٢٤- عبده محمد عبده، نسخة ٧٧ و١٩٩٢,٢ باريس نفسه، حلمي سيد حنفي، أصل رقم ٦ و٢ القصر ١٩٩٢ .

٢٥- ليلة نصف شعبان لها فضل عظيم وخير جسيم كان السلف يعظمونها ويشمرون لها قبل إتيانها فلا تأتيهم إلا وهم متأهبون للقائها والقيام بحرمتها ..

ابن الحاج ، نفسه، جـ ١، ص٢٩٩ .

٢٦- مصطفى فهمي، نفسه، ص، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

٢٧- مهدى سامي بربرى، باريس، مزارع، باريس نسخة ٧٧ و٢ ، ١٩٩٢ باريس، نفسه .

٢٨- نفسه .

٢٩- محمود إبرهيم كرار حسب، ٦٠ سنة باريس، رئيس الوحدة المحلية، باريس، نسخة ٧٩ و٢ ١٩٩٢ باريس، نفسه .

٣٠- أحمد سنوسي خلف الله، أصل رقم ٦ و٢ القصر ١٩٩٢ نفسه .

٣١- سورة يس آية ٥٨ .

٣٢- سورة يس آية ٨١ .

٣٣- يقال هذا الدعاء في المساجد في قرية القصر، وفي باريس كان يقال في المنازل كما سبق القول .

٣٤- عثمان أبو بكر، ش٨ و١ القصر ١٩٩٢ ، نفسه .

٣٥- مصطفى فهمي، مرجع سابق، ص، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

٣٦- كانت رؤية الهلال تتم بعد صلاة المغرب وهذا عند استطلاع أوائل الشهور العربية، أما عند استطلاع أواخرها في رمضان لاستطلاع أول أيام العيد فكان يتم استطلاع الهلال بعد صلاة الفجر.

وكانت الناس تعرف أن رابع رجب لابد من أن يوافق يومه أول رمضان يعني لو ٤ رجب - يوم خميس، فلابد أن يكون أول رمضان يوم خميس وعيد الضحية يوم الخميس والسنة الجديدة أولها خميس فالحديث الشريف يقول «صيامكم نحركم يوم عيد الأضحى». محمود كرار، باريس، نسخة ٧٩ و٢ ،١٩٩٢ .

٣٧- لم تكن طبلة كما نعرفها الآن وإنما كانت عبارة عن طار .

٣٨- عبده محمد، باريس، نسخة ٧٨ و ١ باريس ١٩٩٢، شوقي عبد القوى .

٣٩- محمد أحمد على، ٦٥ سنة باريس، مزارع، باريس، نسخة ٧٧و ١، باريس ١٩٩٢، نفسه .

٤٠- كانت الشعرية تعمل بأن يعجن الدقيق بالماء وتفتل باليد وكانت النساء يساعدن – بعضهن حيث كان هناك تقسيم للعمل، البعض يفتل على فوطة وواحدة تلملم الشعرية وتنشرها على الحطب إلى أن تجف والحطب عبارة عن شجيرات الطرفة وهي تشبه الجازورينا ولكنها ليست شجرة طويلة ولكن لها أفرع كثيرة وتجمع من الصحراء وتستعل للشعرية فقط ولا تستعمل كوقود وكانت تحفظ فى المنزل – حيث كانت الشعرية وجبة تتناول كثيرا ويبدو أنها كانت مثيلا للأرز في الوقت الحاضر وكان هذا الحطب يعار لمن ليس لديها الحطب. أم عمر مصطفى مهاود، ش ٥ و ١، ١٩٩٣، نفسه.

٤١- أم عمر مصطفى مهاود، ش٥ و ١، ١٩٩٣، نفسه .

٤٢- علي عوض فوده، ٥٤ سنة باريس، مسحراتي وخادم في جامع، باريس، نسخة ٧٩ و ١، ١٩٩٢ باريس، نفسه .

٤٣- عبده محمد، نسخة ٧٨ وجه ١، ١٩٩٢، نفسه .

٤٤- أحمد سنوسى خلف الله، ش ٦ و ٢، ١٩٩٢، نفسه .

٤٥- نفسه .

٤٦- نفسه .

٤٧- نفسه .

٤٨- نفسه، وملاحظات الباحث .

٤٩- المرناة : التلفزيون

الفصل الثالث

الاحتفالات الخاصة بمناسبات دينية غير رسمية

احتفالات الأولياء - ختم القرآن - احتفالات الحج

احتفل المصريون بمناسبات دينية غير رسمية بعضها يتعلق ببعض أركان الدين كالحج والآخر يرفضه الدين أو مكروه دينيا كالاحتفال بموالد الأولياء ورغم ذلك انتشرت الاحتفالات بموالد الأولياء فى جميع أرجاء مصر تبركا وتقربا منهم وربما يرجع ذلك إلى ميراث سابق على الإسلام حيث كان لكل اقليم إله فى مصر القديمة، وهو موضوع يحتاج إلى بحث آخر متعمق فى الظاهرة تاريخيا .

وقد عرف عن مصر كثرة الأولياء بها واختلافهم من حيث المكانة والسمعة والكرامات فهناك أولياء مشهورون فى مصر كلها كالسيد البدوى وعبد الرحيم القنائى وهناك أولياء محليون لم تتخط شهرتهم حدود قراهم أو محافظاتهم .

ولم تحظ باريس أو القصر بوجود أولياء من النصف الأول المشهورون فى جميع أنحاء مصر . ففى باريس يوجد أولياء مثل الشيخ عبدالله والشيخ أحمد ولكن ليس لديهم مولد يحتفل فيه بهم، ولا يذهب إليهم أحد للتبرك إلا إذا كانت هناك من نذرت نذرا لهذا الولى - وهذه حالات نادرة جداً - فتذهب إلى هناك وتعطى

النذر لمن يرعى هذا المقام. وكان هذا سابقا والآن لم يعد يحدث شيء من هذا القبيل وإن وجدت فهى حالات فردية[1]

ولا نجد تفسيرا مقبولا لذلك التغير، فالتحليل المعاد والمكرر بالتغير الحادث فى المجتمع وهو دخول الإذاعة والتليفزيون والتعليم والتطرف الدينى لا ينطبق على حالتنا هذه فى باريس حيث إن النذر للولى لما زال شائعا فى قرى الواحات مع تشابه الظروف البيئية والجغرافية والاجتماعية بين مختلف القرى والاختلاف الوحيد هو الظروف التاريخية التى مرت بها باريس .

فنعرف أن المهدية بالسودان استقروا فى باريس كما أن أهل باريس كانوا يذهبون إلى السودان وأن من بين تعاليم المهدية عدم الاعتراف بالأولياء[2] ورغم القضاء على المهدية إلا أن دعوتهم قد استمرت .

وفى القصر رغم كثرة مقامات الشيوخ هناك إلا أن موالد الأولياء بالصورة التى سبق ذكرها عن الموالد الشهيرة فى مصر لا توجد الآن. وحتى حوالى عشر سنوات أو أكثر بقليل كان يقام مولد كبير للشيخ (مبارز) يحضر إليه الناس من جميع بلدان الواحات ولكن ذلك انقضى الآن ولم يعد يحضر إلى ذلك المولد أعداد كبيرة حيث قل عدد من يحضرون لهذا المولد .

ولهؤلاء المشايخ كرامات عديدة يتناقلها الناس مصدقين لها فمن بعض كرامات الشيخ عبد الرحمن على سبيل المثال أنه «كان يملأ الزير بالمياه لأجل العجن لخبز العيش ويصب المياه على العجين.

وتقطع السيدات الخبز فلا ينفذ العجين، فقالت له أمه إن السيدات تعبن من التقطيع فقال لها اقطعى رغيفاً وضعيه فى ماجور العجين مرة أخرى ففعلت أمه ذلك فنفد العجين .

وقالت له أمه أحضر زيتا من عند فلان فوضع الزير على كتفه فامتلاء بالزيت فسألته أمه من أين أحضرت الزيت فقال لها «خلى الطابق مستور» .

أخبر الشيخ عبد الرحمن أمه ذات يوم أنه مسافر فقالت له كيف تسافر ولا يوجد قمح فى البيت فأحضر مقطفا ووضع به خمس ميشات قمحا وقام بخياطة المقطف وعلقه فى السقف وفتح فى قعر المقطف فتحه صغيرة وسدها بسدادة وقال لأمه كلما تحتاجين قمحاً ارفعى السدادة وخذى ما تريدين وإياك وفتح المقطف وسافر فاستمرت أمه تأخذ القمح مرات عديدة ودفعها الفضول لرؤية هذا المقطف الذى ينفذ منه ففتحته فذهبت عنه البركة .

وعن الشيخ مبارز يقولون «إن حماره هرب فخرج يبحث عنه وكان نظره ضعيفا وفى أثناء بحثه وجد ضبعا فركبه معتقدا أنه الحمار وذهب إلى المنزل وطلب من زوجته أن – تعشى الحمار فذهبت وقالت له إنه ليس حمارا فذهب إليه وأعطاه الأكل وصرفه «وطبيعى أن تؤدى تلك الكرامات أو المرويات إلى الاعتقاد فى الأولياء والمشايخ »

ويقوم بأمر مولد هؤلاء المشايخ الأهالى الذين ينتسبون إليهم بالقصر أى الذين يعتبرون أنفسهم من نسل هؤلاء الأولياء. ويحدد

هؤلاء موعد مولد الشيخ وفى الموعد المحدد يذبحون شاة أو عجلاً صغيراً (سعى) ويدعون الأقارب والفقراء والمقرئين[٣] .

وتتم عملية الذبح قبل المولد بيوم حتى يتمكنون من تجهيز الطعام . ويكون تناول الطعام ظهر يوم المولد عند مقام الشيخ أو فى بيت كبير العائلة التى تنتسب لهذا الشيخ[٤] .

وليست هناك ساعة محددة للاحتفال فأحيانا يكون الاحتفال صباحا بعد الإفطار - وينتهى الاحتفال قبيل الظهر. ويحدث هذا غالبا إذا كانت هناك حالة وفاة فاحتراما للمتوفى يعمل المولد بالنهار. وعادة ما يقام الاحتفال بعد صلاة المغرب[٥] .

والاحتفال عبارة عن قيام جماعة المقرئين كما يسمونهم بإنشاد قصائد أغلبها مديح فى رسول الله عليه الصلاة والسلام مثل :

قل ما شئت تمدح فى محمد

من البيت الحرام سرى محمد (اللهم صلى عليه مجموعة)

كأن الأصل جبريل أتاه

لبيت نائم فيه محمد (اللهم صلى عليه مجموعة)

فأيقظه وقال له حبيبى

لقد ناداك ربك يا محمد (اللهم صلى عليه مجموعة)

وبعد المولد تعمل حلقة ذكر أحيانا ، تبدأ بقراءة الفاتحة للمشايخ أو الأولياء ثم يقولون لا إله إلا الله ويطفئون النور، ويذكرون أسماء الله الحسنى مرة بأداء بطىء ومرة بأداء سريع وهم وقوف، ثم يجلسون بعد هذا ويقرأون الفاتحة للمشايخ مرة أخرى ويدعون لهم

بالثواب ويقولون اسم يا لطيف مثلا مائة مرة يتوسلون باسم الله فى دعائهم ، وينتهى الاحتفال بمولد الشيخ[٦].

كما أنه يحدث فى بعض الأيام بعض العوايد كأن يقوم خدام هذا الشيخ أو ذاك أو – العائلة التى تنتسب لهذا الشيخ بتوزيع بعض الطعام على الفقراء (فمثلا فى رمضان تخبز عائلة عواض أبو بكر كعكا يطلق عليه أو يسمى بكعك الشيخ (عبد الرحمن) ويوزع على أهل البلد فقيرهم وغنيهم[٧] .

وأيضاً يأتى بمثل ذلك من يخدم سيدى نصر الدين ففى يوم ٢٧ رمضان يخبز نصف أردب قمح ويوزعه على الفقراء[٨] .

ويوجد احتفال غريب لم أشاهده من قبل. ففى فاخورة القصر يوجد مقام صغير لاتتعدى مساحته متر ونصف للشيخ عبد الرحيم القنائى[٩] وهو رمز فقط فالشيخ عبد الرحيم ليس مدفونا به، وهذا الرمز موجود لأن أصحاب الفاخورة يعتبرون الشيخ عبد الرحيم أبو صناعة الفخار حيث كان يعمل بالفخار، وهم يتباركون به فيقيمون له مولد فى كل عام حيث يذبحون، ولا يدعون أحد بعينه فالدعوة عامة للجميع والمقصود بها الفقراء والمساكين[١٠] .

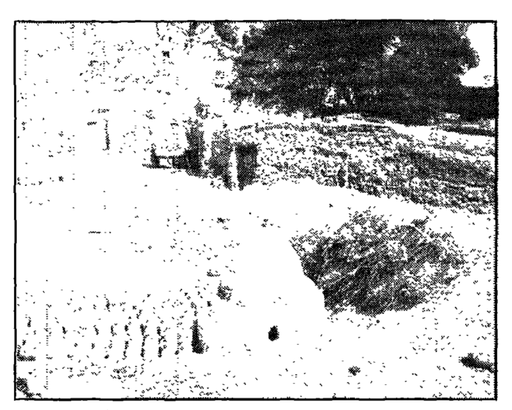
ويتم الذبح صباح يوم المولد ، ويتناول الجميع الغذاء ظهرا ثم ينشدون بعض القصائد فى مديح النبى أو ينشدون مولدا كالذى سبق ذكره ولايستمر هذا إلى وقت متأخر حيث ينتهى المولد قبل صلاة العصر وفى نهاية المولد يغادر الجميع الفاخورة حيث كان الأكل والمولد[١١] .

ويلاحظ فى هذه الموالد عدم وجود بائعين أو أصحاب الملاهى فمن يحضرها هم الذين يقيمونها ومن يريد المشاركة فى المولد ، وأيضاً أصحاب النذور الذين يريدون توفية نذورهم وبعض الفقراء .

ويرجع ذلك لأنها موالد صغيرة ، قصيرة زمنيا ومن يحضرها هم أهل القرية غالبا فليست هناك فرصة للبيع والشراء وأيضاً ليست هناك فرصة للهو بعكس المولد الكبير والذى يستمر أياما .

ويبدو أن عدم استمرار المولد لأيام كما فى الموالد الأخرى بوادى النيل راجع إلى أن الأشخاص القادمين من القرى الأخرى والعزب المجاورة لا يمكثون إلا يوما واحدا فلو مكثوا أكثر من يوم لنشطت حركة البيع والشراء فضلا عن إزالة الملل إذا كان الحاضرون من قرية واحدة وعدم مكوثهم كما يرى الباحث سببه عدم وجود أماكن للمبيت وحمامات للاستعمال بالإضافة إلى طول المسافات وقلة وسائل المواصلات كل هذه العوامل أدت إلى أن يكون المولد لمدة يوم واحد .

وجدير بالذكر أن المشاركة فى هذه الموالد ليست قاصرة على فئة أو طبقة معينة من الناس بل يشارك فيها والغنى والفقير والمتعلم وغير المتعلم .



مقام سيدى عبد الرحيم القنائى بفاخورة القصر وهو مقام رمزى باعتبار أن سيدى عبد الرحيم القنائى شيخ صنعة الفخار أخذت الصورة عام ١٩٩٢

ومن الملاحظ أن عملية النذر لايختص بها مستوى معين من الثقافة أو الثراء .

ويدور بالخاطر تساؤل طرحناه على أهل القصر عن سبب اضمحلال الاحتفال بموالد الأولياء، خاصة الشيخ مبارز الذى كان يقام له مولد كبير يحضره الناس من القرى والعزب المجاورة، وفى وقت لم تكن فيه وسائل الانتقال سهلة وميسرة .

ولكن يبدو أن تغير اهتمامات الناس ودخول المرناة فى حياتهم وانشغالهم بها بالإضافة إلى زيادة عدد المتعلمين وانتشار الوعى

الدينى والحضارى فضلا عن فقد بعض المعتقدات - لدورها المؤثر فى حياة الجماعة، كل هذا أدى إلى ضعف الاهتمام بموالد المشايخ .

ولأهمية كتاب الله (القرآن الكريم) الجامع لشرائع الإسلام وتعاليمه فقد نال حفظ القرآن الكريم اهتماما عظيما، لذلك أنشئت الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة حيث كان القرآن هو الأساس فى عملية التعليم .

وكان للكتاب فى باريس دور كبير فى تعليم القراءة والكتابة والحساب، وفى وقت لم تكن قد انتشرت فيه معاهد التعليم، وكان للكتاب تقاليد تتبع فى طريقة التعليم فى مراحله المختلفة، التى كانت تقسم حسب أجزاء القرآن الكريم بالإضافة إلى المرحلة الأولى وهى مرحلة تعلم حروف الهجاء .

يحدثنا الحاج عبد المنعم بأنه بعد أن نكمل قراءة حروف الهجاء بالفتحة والكسرة والضمة وراء سيدنا نختم بإنشاد لسيدنا ونحن الطلبة نردد وراءه .

سيدنا : نورت قلبى بالصلاة على النبى

طلبة الكتاب يا رسول الله

سيدنا : الملك من خير الأنام يفوح

الطلبة : يا رسول الله

سيدنا : والنور من جوا الضريح يفوح

الطلبة : يا رسول الله

سيدنا : سيدى إلى طريق الرشاد نصوح

الطلبة : يا رسول الله

سيدنا : دنيا طيبة وصحاب

الطلبة : يا رسول الله

سيدنا : موسى وعيسى والخليل ونوح

الطلبة : يا رسول الله

سيدنا : والأرض تشهد والسماء بأنه

الطلبة : يا رسول الله

سيدنا : ما مثله فى العلمين صحيح . . إلخ

وهذه تقال بعد أن نحفظ ونتعلم الهجاء وعندما يحفظ الولد جزء عم يأتى والداه إلى الكتاب حاملين ماعون(وعاء) به عصيدة[١٢] ويتركون الماعون عند سيدنا الذى يأمر الأولاد الكبار بالكتاب بتوزيع العصيدة والتى توضع لكل ولدين فى زبدية (وعاء صغير من الفخار) وكانت تبقى هيصة ويمكن البلد كلها عرفت إن فلان طلع جزء عم (أى انتهى من جزء عم) وتطلق على هذه العملية (صرافة جزء عم)[١٣] وكان أهل الطفل يعطون للشيخ عمة أو طاقية فى هذه المناسبة .

وتذهب نساء القرية حاملات معهن هدايا فمنهن من تأخذ بيضا، ومنهن من تأخذ دجاجة وأخريات يأخذن خبزا كل ومقدرتها ويذهبن ليباركن لأم الطفل، وبتجمعهن يصبح البيت كأن به فرح لكثرة الوافدات المهنئات .

وفى جزء تبارك عندما ينتهى الولد من حفظ هذا الجزء يرسل

والده ظفراً للشيخ (أى نوع من الطيور) ويسمون هذه العملية (يظفروه)، فيرسلون له الحمام[١٤] وويبة[١٥] غلة ومن عشرة إلى عشرين قرشا حسب إمكانية أهل الولد. وكانت الناس الثرية ترسل للشيخ قماش دمور طوله ثلاثة أمتار لكى يفصله قميصاً، ولم يكن هناك فرحة بالصورة التى كانت تحدث فى جزء عم. لأنه فى جزء عم يكون الولد صغيرا وهذه أول فرحة .

وعندما يحفظ الولد سورة «يس» نعمل أقراصاً مصفطة[١٦] وتعمل من دقيق القمح والسمن البلدى ويأخذ أهل الطفل هذه الأقراص إلى الكتاب حيث يعطون قرصين للمشايخ واثنين للأطفال فيقطع كل طفل كسرة من القرص ويأكلها.

وبعد «يس» كان هناك من يستمر فى حفظ القرآن. ومن يأخذه أبوه للعمل معه فى الفلاحة، ولم يحدث قط فى زمن الراوى أن ختم أحد القرآن[١٧] .

ولانتشار المدارس الآن لم تعد الحفاوة بالكتاب وبمن يحفظ أجزاء من القرآن كما كانت وأصبحت قلة هى التى تذهب إلى الكتاب ومع ذلك لا تنتظم فى الحضور. وانحسر دور الكتاب أمام دور المدرسة .

ويروى لنا الحاج محمد محمدين عن دور الكتاب فى القصر فيقول «إنه عندما يتم أحد الأولاد حفظ جزء من الأجزاء يقول سيدنا[١٨] بيض اللوح[١٩] ويأخذ لوح الطالب الذى حفظ الجزء ويرسم عليه ورداً ويطلب من الطالب أن يعطيه لأبيه فيحضر الأب إنجرين[٢٠] أرز باللبن وأربعة أرغفة عيش شمس و«خمسة صا» ويأخذ

الشيخ الخبز والنقود وتشترك الأولاد جميعها فى اكل الأرز باللبن .

وإذا ختم أحد الأولاد القرآن ، يقوم أهله بعمل اثنى عشر إنجر أرز باللبن ويجمع سيدنا جميع الفقهاء فى البلد حيث يخبرهم بأن هذا الطالب قد ختم القرآن - ونادرا ما كان يختم القرآن أحد ، وكان أهل هذا الولد يعطون لسيدنا بعض الهدايا وأحيانا يهادونه بجدى والبعض يذبح أى نوع من أنواع الطيور ويرسل هذا للمشايخ والطلبة ويتم هذا حسب مقدرة أهل الطالب[٢١] .

وأيضاً فى خفوت ضوء الكتاب وبزوغ دور المدرسة التى اجتذبت معظم الأطفال ، حيث صار التعليم إلزاميا فعلى الجميع أن يلتحق بالمدرسة .

ومما سبق نجد أنه كان للكتاب دور كبير فى القرية المصرية فلم تخلُ قرية مصرية سواء أكانت فى الوادى أو فى جوف الصحراء من كتاب أو أكثر . حيث كان له دور كبير وأساسى فى القيام بدور تعليمى أساسه حفظ القرآن الكريم ، وهذا الحفظ يأتى عن طريق تعلم الكتابة وقراءة القرآن الكريم ، والقرآن هو الأساس فى هذا .

وإلى جانب حفظ القرآن الكريم اهتم الكتاب بفرع آخر من العلوم وهو علم الحساب مما يعين على القيام بالوظائف المحدودة لاحتياجات مجتمع القرية الصغيرة الذى لم تكن قد تشعبت سبله وتشابكت دروبه وعظمت مسئولياته .

لذلك كان الاحتفاء بمن يتم جزءاً من القرآن الكريم أو يحفظ جزءاً منه احتفاءً يفوق الاحتفاء بمن يحصل الآن على شهادة جامعية

أو ما هو أعلى منها. وكان لهذا الاحتفال تقاليد تتبع وممارسات تؤدى، وتختلف من قرية إلى أخرى كما شاهدنا فى كل من باريس والقصر.

ويلاحظ أن التعليم فى الكتاب - خاصة حروف الهجاء - كان يتم بالقراءة المنغمة وكان هذا سائدا فى أرجاء مصر. كذلك استعمال الإنشاد في عملية التعليم، كل هذا كان يكسر حالة الملل والرتابة التى يمكن أن يشعر بها الطالب أثناء تواجده جالسا على الأرض فى الكتاب بلا حركة.

لذلك استعمل الإنشاد والتنغيم فى القراءة لجذب انتباه الطالب ومساعدته على التركيز ولهذا نرى أن الكتاتيب قامت بدور مهم فى تعليم القراءة والكتابة بطريقة تفوق ما تقوم به المدارس حاليا وندرك ذلك عندما نتحدث مع واحد ممن تعلموا فترة فى الكتاب مثلا فى فترة الإجازة الصيفية أو قبل دخوله المدرسة ونتحدث مع من لم يروا الكتاب. سنجد أن لغة الأول سليمة ونطقه للحروف واضح عكس الآخر.

ويلاحظ أن معلم الكتاب كان يتمتع باحترام وتقدير عظيمين كما كانت له مكانة عالية بين أهل القرية، وهو الوحيد من أهل القرية الذى يسيد فكان لقبه «سيدنا» وينطق بدون ذكر الاسم دليل الاحترام كما أنه ليس هناك إلاً سيد واحد هو معلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.

وقد خفت أو اضمحل دور الكتاب الآن وبرز دور المدرسة التى

اجتذبت معظم الأطفال فقل عدد من يذهب إلى الكتاب إلا فى فترة الصيف حيث يزداد الإقبال على حفظ القرآن الكريم فى الإجازة الصيفية. واختفت أيضا مظاهر الاحتفال بحفظ أجزاء من القرآن الكريم .

وأيضاً تضاءلت مكانة الشيخ أو سيدنا بعد أن كان له دور كبير فى حياة أهل القرية فهو المعلم والمتعلم فإليه يذهب من يريد أن يكتب كتابا أو يقرأ خطابا فهو عنده العلم اليقين والمعرفة الواسعة وكلامه مسموع واحترامه واجب .

والحج مناسبة دينية هامة وركن من أركان الإسلام الخمسة «لمن استطاع إليه سبيلا» أى لمن يملك القدرة سواء الصحية أو المالية .

والحج هو المناسبة الوحيدة فى العالم التى يختلط فيها أفراد شتى من مختلف أرجاء العالم، مع ما يحمله هذا من احتكاك ثقافى وحضارى، بالإضافة إلى ما يحمله الحاج عند عودته من منتجات سلعية لبلاد مختلفة. فالحج نافذة يطل فيها - الحاج على شعوب العالم المختلفة بالإضافة إلى ما يختزنه الحاج عند عودته من حكايات وأخبار يقصها على ذويه وأصحابه .

ولطول الفترة التى يمكثها الحاج فى تأدية الشعائر وفى الذهاب والعودة، فضلا عن كون الحج أحد أركان الإسلام وكذلك مرور الحاج على جيرانه ليخبرهم بأنه قرر تأدية فريضة الحج. كل هذا أدى إلى مظاهر الاحتفاء التى تصاحب الحاج فى حله وترحاله .

ومن الرصد الميدانى نجد أن الحج من المناسبات المهمة التى يجتمع

فيها أهل البلد لتوديع الحجاج واستقبالهم، وخلال هذه الفترة وقبل الحج بفترة يكون أهم أحاديث القرية عمن سيذهب هذا العام إلى الحج ومن فاتته قرعة الحج .

وللحج تقاليد تتبع فى هذه القرى النائية وهذه التقاليد لم يضعها أحد ولكنها تتوارث جيلا بعد جيل، ففى باريس عندما ينوى أحد الأفراد الخروج[٢٢] للحج فلابد من مروره على بيوت القرية كلها بيتا بيتا ليخبرهم بأنه ذاهب لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ويطلب منهم السماح إذا كان قد سبق وأخطأ فى حق أحدهم. ويعنى هذا خروجه وهو نظيف تماما فلا يوجد من يحمل له ضغينة كما أنه ليس بينه وبين أحد غضب ما .

وبعد معرفة القرية بأن فلانا سوف يؤدى الفريضة يذهب إليه القريبين منه من أقاربه وأصدقائه ويعطونه نقودا (ينقطوه) يختلف مبلغها من شخص لآخر، وتعتبر هذه مساعدة يستعين بها الحاج على تكاليف الحج ويحضر الحاج لكل من أعطاه نقودا هدية من «ريحة الرسول عليه الصلاة والسلام» على حد تعبيرهم، وليس شرطا أن تكون الهدية بقيمة النقوط، ولكنها هدية رمزية، المهم أن تكون من البلاد المقدسة، وعادة ما تكون سبحة أو طاقية أو مصلية. وفرضا إذا لم يحضر الحاج هدايا لايغضبون منه لأنه معروف لديهم سلفا أن النقطة تكاد تكفيه للسفر[٢٣] .

وفى يوم توجه الحاج للحج (يوم الخروج) يخرج أهل البلد جميعهم[٢٤] لتوديع (تعزيم) الحاج وتأتى النوبية[٢٥] بالطبل والنساء

بالزغاريد والأغاني ومن أغاني توديع الحجاج هذه الأغنية :

يا أما ضريح النبى نصبوا الستارة عليه المجموعة (تكرر)

ياما ضريح النبى نصبوا الستارة عليه المجموعة (تكرر)

نصبوا ستارة سندسى على ضريح النبى المؤدية

ياللى تقولوا وتنشدوا ابلغ سلامى عليه المؤدية

ياللى تزوره وتيجى بلغ سلامى عليه المؤدية

يامه ضريح النبى نصبوا الستارة عليه المجموعة ... الخ

وأيضاً عند النبى طاطت له الهجينا المجموعة

عند النبى دلى يا بكره دلى



رسوم الحج على احد منازل باريس

عند النبى طاطت له الهجينا | المجموعة
ادن بلال وقام الصلاة بينا
دلى يا بكره دلى | المجموعة
قال لى يوم الزحام هو الشافع لينا[٢٦] .
دلى يا بكره دلى | المجموعة

وتوديع الحاج ينتهى خارج القرية بمسافة قصيرة ويسير الحاج على قدميه بين الناس أما إذا كان طاعنا فى السن فيخرج راكبا ركوبة، وكانت النوبة تشارك فى توديع الحاج واستقباله.

وإذا كان هناك أكثر من حاج مسافر فيودعون (يعزمون) واحدا ويعودون ليودعوا الذى بعده وهكذا[٢٧] .

وبعد رحيل الحاج يبدأ أهله فى إصلاح البيت وتنظيفه ودهانه ويحضرون أحد الأشخاص المعروفين بالخط والرسم الجميل فيكتب بعض العبارات الدينية كحج مبرور وذنب مغفور ويرسم بعض الأشكال كجمل وطيارة وسفينة والكعبة وهكذا، والمادة التى كانت تستخدم فى الكتابة هى المغرة وتستخرج من الجبل القريب حيث تطحن وتذاب فى ماء به ملح لتثبيت اللون والآن تستعمل أكاسيد تشترى من محال البويات ولا يتقاضى من يزين البيت بالكتابة والرسم أى أجر سوى هدية تشترى من عند النبى يأخذها من الحاج. كما يحضر الحاج معه مصلية تسمى الشفعة وتعلق فى الجامع القريب منه[٢٨] .

وعند العودة يتصل الحاج تليفونيا من الخارجة لكى يخبر أهل

القرية بموعد وصوله وقبل وجود التليفون كان الحاج يرسل أحد الأشخاص من الخارجة ليخبر أهله بموعد وصوله وكانت الجمال هى الوسيلة التى يتخذونها للوصول إلى باريس .

وفى موعد وصول الحاج يخرج أهل البلد لانتظاره خارج القرية ومعهم النوبة بالطبل والنساء بالزغاريد والأغانى وعند صوله يترك السيارة ويسلم على الجميع آخذا إياهم بالأحضان ثم يسير مع أهل البلد(٢٩) وأغانى النساء تزفه حتى يصل إلى داره(٣٠) .

ومن الأغنيات التى يستقبل بها الحاج

المغنية الحاج تحت السجر ياللا نسلم عليه

المرددون الحاج تحت السجر ياللا نسلم عليه

المغنية ماراح وزار المصطفى والحجة مبروكة عليه

المرددون الحاج تحت السجر ياللا نسلم عليه

المغنية وراح وزار المصطفى والحجة خايله عليه

وتقصد المغنية بالسجر الشجر وكان يوجد فى مدخل باريس بعض الأشجار وهى التى كانوا يودعون الحاج عندها ويستقبلونه عندها أيضاً .

أغنية تغنى عند الذهاب مجموعة للسلام على الحاج فى منزله .

المغنية بيت الحاج فين دلونى عليه

المرددون بيت الحاج فين دلونى عليه

المغنية بيت الحاج فيه يا صلاة الرسول

ومبيض بالجبر ومرسوم عليه

المرددون بيت الحاج فين دلونى عليه

وبيضوه بالجبر ورسموا عليه

رسموا السفينة وقبة نبينا

المرددون بيت الحاج فين دلونى عليه(٣١)

ويستمر الاحتفال بالحاج عدة أيام ويأتى أهل القرية والعزب المجاورة للسلام عليه، وفى أثناء ذلك توزع أكواب الشربات والقادر منهم يقوم بذبح عجل ودعوة الجميع للغداء أو العشاء .

وهكذا يودع الحاج بالغناء ويستقبل بالغناء ويذهبون إليه مغنين أيضاً والحج هى السفرة الوحيدة التى يودع فيها المسافر بالزغاريد والأهازيج لأن السفر الآخر للعمل مثلا غالبا ما يجلب الأسى لأهل المسافر .

وفى القصر عند معرفة الإنسان أنه ذاهب إلى الحج يبدأ فى المرور على جميع أهل القصر والعزب والمجاورة يطلب منهم مسامحته إذا كان قد أخطأ فى حق أحدهم .

وفى يوم السفر تجتمع عائلة الحاج ومحبيه ليسلموا عليه ويجلسوا معه كما يأتى أهل القرية ليسلموا عليه وعندما يحين موعد سفره(٣٢) إلى القاهرة يذهب معه أقاربه وأحباؤه حتى موط(٣٣) حيث يركب السيارة التى ستأخذه إلى القاهرة ويستقبله أقاربه(٣٤)، المقيمون بها ويمكث فى شقة أحدهم حتى موعد السفر .

وما يحدث فى القصر هو نفس ما يحدث فى باريس، حيث يبدأ أهل الحاج فى ترميم البيت إذا كان به شيء يحتاج إلى ترميم ودهانه

من الخارج والداخل .

والمرحلة التالية هى مرحلة الرسم والكتابة ويقوم بها متطوعا أحد المشهود لهم بالخط المنمق والرسم الجميل وغالبا ما يشارك اثنان أو ثلاثة من هؤلاء الفنانين فى تزيين المنزل فواحد يكتب وآخر يرسم وثالث يساعد ويقوم بالعمل إذا ما تغيب أحدهم، وأيضاً يقوم هؤلاء الرسامين(٣٥) بعملهم تطوعا .

والرسم أيضاً شبيه بما يرسم فى باريس وهو عبارة عن جمل أو طيارة أوسفينة بالإضافة إلى بعض الأشكال الزخرفية مع كتابة بعض الآيات القرآنية والعبارات التى تنم عن التهنئة .

ويلاحظ أن الرسوم والكتابات ترسم خارج المنزل وداخله خاصة الحجرة التى يستقبل فيها الضيوف وغالبا ما يتم زخرفة المنزل كالآتى .

تعمل يافطة على الحائط فوق الباب الخارجى يكتب فيها اسم الحاج، حاج الحرمين الشريفين بتوفيقه تعالى الحاج... وكان وقوفه بعرفة فى التاسع من ذى الحجة سنة... حج مبرور وسعى مشكور وذنب مغفور، والكتابة يمكن أن تكون فى مساحة مربعة أو مساحة مستطيلة أو على شكل دائرة. وبعد ذلك تكتب بعض الآيات القرآنية أو عبارات، والبعض يطلب رسوما معينة والآخر يترك للرسام الحرية فى رسم وكتابة ما يشاء(٣٦) .

وعند وصول الحاج إلى القاهرة يسافر بعض أحبائه إلى مصر ليعودوا معه إلى القصر وعند وصول الحاج إلى القرية يخرج أهلها

لاستقباله ولكن ليس بنفس الصورة الغنائية التى تتم فى باريس .

ويتوافد عليه أهل القرية والعزب المجاورة لكى يسلموا عليه ويهنئوه وفى أثناء ذلك يقدم للمهنئين شراب الشربات والشاى، ويستمر هذا من عشرة أيام إلى خمسة عشر يوما وخلال هذه المدة لا يخرج من البيت انتظارا لوفود المهنئين .

وينقط هؤلاء المهنئون الحاج بالنقود أو أشياء عينية والمهنئات غالبا ما يكون نقوطهن شايا وسكرا وغير هذا من أشياء مشابهة ويفرق الحاج هدايا على أحبائه وغالبا ما تكون هذه الهدايا من الطواقى والسبح وسجاجيد الصلاة والخواتم .

وجدير بالذكر أن نفس المظاهر الخاصة بالتوديع والتهنئة تمارس مع السيدة المؤدية لفريضة الحج كما تمارس مع الحاج.

وفى القصر ممارسة يطلقون عليها مولد للحج وتتلخص فى أن الحاج يشترى قبل سفره للحج عجلا أو خروفا أو شيئاً شبيهاً بذلك، لكى يذبحه خلال عام من موعد عودته وليس بعد ذلك وعند الذبح يقف الحاج مع الجزار لكى يشرف على تقطيع الذبيحة كما يرغب حيث يفرق جزءاً على الفقراء ويهادى أحباءه بجزء ثانٍ ويطهى المتبقى، ويدعو الأقارب والأحباب لتناول الطعام وبعد تناول الطعام يحيون المولد وقد سبق ذكره(٣٧) .

وجدير بالذكر أن ما يتم فى الحج من توديع واستقبال ومهاداة ظاهرة طيبة تزيد من أواصر الصلة بين الناس، كما أنها فرصة طيبة للتلاقى فى مناسبة سعيدة فالكل فرح مستبشر. وأيضاً مناسبة

للتسامح وإزالة الخلاف بين الحاج وغيره إذا كان هناك خصام أو ما شابه ذلك .

ولعظم المناسبة وكونها ركن من أركان الإسلام عظم الاهتمام بالاحتفال بها ومن يشاهد ممارسات هذا الموسم يعتقد فى أنه فى العيد ، فالحجاج يتوافدون والأفراح مستمرة وهذا خارج من عند الحاج وذاهب لآخر وهذا قادم وتسمع عبارات عقبال عندك ، عقبال الحجة الثانية أو الثالثة ، وعقبال أولادك والدعاء بالوقوف على عرفات. الوجوه باسمة والأسارير منفرجة والبشر واضح على الجميع .

والملفت أن الحاج يحكى خبر رحلته منذ غادر القرية حتى عودته وما صادفه لكل من يزوره فهو حديثه المفضل ، لا يمل من تكراره. وتتناقل الناس بعض المواقف الطريفة أو الشائكة التى صادفتا هذا أو ذاك من الحجاج. وتصبح القرية لفترة طويلة لا حديث لها إلا أخبار الحجاج .

ويلاحظ أن ظاهرة انشغال الناس بتوديع الحجاج واستقبالهم والحفاوة بهم والحكى عن أخبارهم ظاهرة منتشرة فى الريف أكثر منها فى المدينة ويرجع ذلك إلى الحياة المستقرة والرتيبة الهادئة فى الريف عكس المدينة ، التى ينشغل الناس فيها طوال الوقت ، وبمعنى آخر توفر الفراغ فى الريف ، كذلك أيضاً شدة الترابط القرابى والجوارى فى الريف عنه فى المدينة وتؤدى كل تلك العوامل إلى المشاركة فى الأفراح والأتراح .

وهكذا نجد أن الحج ظاهرة فردية ولكنها تحظى باحتفال جمعى من أغلب أهل القرية حيث يشاركون فى توديع الحاج وفى استقباله ويتم ذلك بدون توجيه دعوة .

الهوامــش

١- عبد المنعم عبد الرحمن، ص١٥، ١، ١٩٩٣ .

٢- شوقى عبد القوى (دكتور) التاريخ الشفاهى، مرجع سابق.

٣- صالح أحمد أبو بكر، القصر، فخرانى، القصر، نسخة ٨٦ و ١ القصر ١٩٩٢، نفسه.

٤- نفسه .

٥- نفسه .

٦- ملاحظة الباحث، ١٩٩٢ .

٧- أبو بكر محمد عوض الله، ٦٥ سنة القصر، مزارع، القصر.

٨- نفسه.

٩- عمر الراوى ٧٢ سنة ومنذ ولادته وهذا المقام موجود كذلك ذكر له ابوه أن هذا المقام وجده أيضاً ولا يعرف تارخ إقامته .

محمد متولى، ٧٢ سنة القصر، فخرانى، القصر ش ٧ و ١، القصر ١٩٩٢، نفسه.

١٠- نفسه .

١١- نفسه .

١٢- تعمل العصيدة من الدخن أو الذرة أو القمح واللبن فيغلى اللبن ويضاف إليه الدقيق والسكر حتى تصبح سميكة القوام .

عبد المنعم عبد الرحمن، س١٥ و١ ، ١٩٩٣ .

١٣- لم نعرف معنى كلمة صرافة هل تعنى فرحة أو احتفال وقد وردت عند لين فى حديثه عن الختان تعالوا احضروا صرافته «وأيضا يقف رئيس صبية المدرسة ويلقى خطبة الصرافة، وفى الهامش تعنى النقوط. وأرى أنها فى هذا السياق لا تعنى نقوطا ويبدو أنها تفيد أن فلان انصرف عن هذا الجزء لأنه انتهى منه .

إدوارد وليم لين، عادات المصرين المحدثين وتقاليدهم، ترجمة سهير دسوم، مصر ١٩٩١، ص، ص٥٢٤ - ٥٤٥ .

ووردت أيضاً عند جيرار دى نرڤال فى نفس المناسبة السابقة .

جيرار دى نرفال، رحلة إلى الشرق، ترجمة كوثر عبد السلام، مصر د.ت جـ، ص، ص ٣٢٨ - ٣٣٤ .

١٤- الحمام فى باريس هو الفراخ فالمقصود هنا الفراخ .

١٥- الويبة : عشر ميشات والميشة ٢,٥ كيلو تقريبا .

١٦- يعجن الدقيق ويوضع عليه السمن ثم تبطط عليه السيدة بيدها حتى يفرد تماما ثم تلمه وتضع عليه سمناً مرة أخرى وتنشر تحته دقيق وتفرده وتلمه وهكذا إلى أن يعجن تماما بالسمن ثم تفرده وتضعه فى الطابونة (الفرن) .

عبد المنعم عبد الرحمن، نفس الشريط والوجه .

١٧- نفسه .

١٨- اللقب الذى يطلق على المعلم فى الكتاب .

١٩- يصنع اللوح من الصفيح . وكان الحبر يصنع من مادة اسمها المغرة، يؤتى بها من الجبل وصمغ يؤخذ من شجر السنط وقرض (ثمرة شجر السنط) وتصحن المغرة والقرض والصمغ ويوضع المسحوق فى إناء به ماء ويترك لمدة أربعة أيام أو خمسة ثم يصفى بالشاش ويوضع فى زجاجة أما القلم فيعمل من الغاب الأبيض ويبرى بالموس أو أى شئ حاد لنعمل له سناً يكتب به .

محمد محمدين خلف الله، ٧٣ سنة القصر مزارع، القصر حديث مع الباحث ١٩٩٣ استخدمت المغرة فى العلاج فى مصر القديمة حيث وصفت المغرة الحمراء لالتهاب الأصابع ومسكنا موضعيا للحروق وإيقاف النزيف ووصفت المغرة الصفراء للإسهال ولبوسا للشرج وضد الإنكلستوما وضد النسيان ومضمضة للسان .

د. حسن كمال، الطب المصرى القديم، مصر ١٩٦٤، جـ٢، ص٣٨٢ .

وقد استخدمت المغرة فى التلوين فى مصر القديمة وكانت خامات الألوان الترابية تتكون أساساً من المغرة الحمراء (RED OCHRE) والمعزة الصفراء YELLOW OCHRE وهى عبارة عن أكاسيد الحديد الطبيعية . لمزيد من التفاصيل ضحى محمود مصطفى، الألوان فى مصر القديمة ودلالتها التاريخية، المؤرخ المصرى العدد ٥ يناير ١٩٩٠ .

٢٠- إلانجر وعاء يصنع من الفخار .

٢١- محمد محمدين خلف الله، نفس الحديث .

٢٢- يلاحظ استخدام كلمة الخروج لمن يذهب إلى الحج وهى كلمة مـ . ـسة لأنه فعلا

وغالبا ما تكون هذه أول مرة يترك فيها الحاج القرية ويتغيب عنها هذه المدة الطويلة .

٢٣- إبراهيم إسماعيل، نسخة ١,٨٠ باريس ١٩٩٢، شوقي عبد القوى .

٢٤- منذ زمن سابق حتى حوالى عشرين عاما كان ممنوعاً على أى فرد أن يخرج بوعاء (الماعون) خالياً ليس به شيء أثناء توديع الحاج أو توديع مسافر لأن معنى خلو الوعاء أن السفر لن يتم كما يريد الحاج أو المسافر بل سيكون نحسا عليه وإذا حدث مصادفة وخرج أحد بوعاء خالٍ فلابد من أن يقرأ المسافر المعوذتين .

عبد المنعم عبد الرحمن، حديث مع الجامع ١٩٩٢ .

٢٥- جماعة النوبة وكان اسمها قديما السدايدة واختفى هذا الاسم وحل محله اسم النوبة وهم مجموعة من الناس الفقراء ولابد لهذا الفقير لكى يكون عضوا فى النوبة من أن يأخذ عهدا عن السيد أحمد البدوى من الخليفة وهو قائد المجموعة ويعتبر أكبر الأعضاء سنا، والعهد عبارة عن تعهد فيقول «عاهدت السيد البدوى على التوبة والامتناع عن جميع المعاصى...» وبعد أخذ العهد يصبح عضوا فى المجموعة .

وكان السدايدة يلفون البلد فى المواسم ومعهم بيرق أخضر وهو عبارة عن قطعة من القماش كبيرة تشبه العلم ومكتوب عليها لا إله إلا الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأسماء الأربعة الأقطاب السيد البدوى، الرفاعى، الكيلانى، الدسوقى وفى أثناء لفهم يضعون البيرق على أى بيت ويضربون العدة وتشتمل على طبل وباز وكاس ورق وبندير وإذا كان فيه طفل مريض يخرج أهله لهؤلاء الطعام والشاى أو يعطوهم قمحا أو بلحا - فيعمل هؤلاء للطفل عقد من خيط البيرق ويربط فى ذراع الطفل ويعقد سبع عقدات وعند كل عقدة يقول العاقد «من شر النفاثات فى العقد» ويتفل على العقدة وإذا لم يكن هناك طفل مريض يأخذون وهبتهم ويمضون إلى بيت آخر . والمواسم التى يحدث فيها هذا هى أيام الدميرة (جمع البلح) وحصد القمح، وعلى حد تعبير أحدهم كنا نمر على البيوت نشحت (نأخذ العوايد وتسمى عوايد السيد البدوى ويبدو أن العوايد جمع عادة أى اعتادوا عليه .

والنوبة هو الاسم الذى اكتسبته هذه الجماعة ولا يعرف سببا لهذه التسمية وكانت هذه الجماعة تجلس فى مكان معين فى وسط البلد ليلة الاثنين وليلة الخميس

ويضربون العدة وينشدون أناشيد دينية جلها مديح في السيد البدوى وإذا كان هناك أحد عنده مشكلة أو ندر - فيأخذهم إلى بيته حيث يقومون بالإنشاد، وربما وهم سائرون في الطريق ينادى عليهم أحدهم قائلا لهم: «أنا عندى مريض إن ربنا شفاه لكم عندى جدى مثلا» وبعد الانتهاء من جمع العوايد أو النذور يقسمها الخليفة على جميع السائرين في النوبة .

وعندما يموت أحد أفراد النوبة لا يبكونه فبعد وضعه في النعش يحضرون الطبل ويطبلون خلف النعش والمعزين تقول «مولانا يا مولانا»، ونحن نقول «لا إله إلا الله» .

والحضرة عند النوبة تبدأ بقراءة الفاتحة للأقطاب الأربعة ويضربون العدة وينشدون على سبيل المثال :

يا عم يا بدوى يا عم يا بدوى يا أبو اللثامين
يا أحمد يا بدوى يا راعينا بالعين تكرر
طالبين من كرمك نروح نزور حرمك
ونروحلك طنطا ويا المحبين
وأيضاً أه يا مغرور بالدنيا الدنية هي الدنيا دى دامت لمين
ولا دامت لحوا وأدم ولا دامت لزيت العابدين
ياما فيه ناس على الخراب تدور ياما فيه ناس قلوبها جاحدين
جبل الكحل تفنيه المراود وكثر المال تفنيه السنين

محمد أحمد على، ٨٦ س، باريس خليفة السيد البدوى ورئيس النوبة، باريس، ش٩ و١ و ٢، ١٩٩٣ باريس، نفسه .

٢٦- سعيدة خليل بشير (أم فريد ريفى)، باريس، لا تعمل، باريس ش١,٩ باريس ١٩٩٣، نفسه .

٢٧- عبده محمد س ١,٧٨ سنة ١٩٩٢ باريس، نفسه، إبراهيم إسماعيل نسخة ١,٨٠، ١٩٩٢ باريس نفسه .

٢٨- نفسه .

٢٩- في بعض قرى الخارجة لابد من أن يجلس الحاج خارج بيته لمدة أسبوع عند عودته من الحج قبل الذهاب إلى منزله .

أنيس محمد، الخارجة، س ٥٠ عن الأصل ٦٣٥ و١٩٧١،٢ الخارجة، عبد الحميد حواس .

٣٠- عبده محمد، نفسه .

٣١- سعيدة خليل بشير، نفسه .

٣٢- من الأغاني التي تغني للحاجة

انزلي يا حاجة ولمي الملاية

حججك ابنك وحافظ الربابة

رايحة فين يا حاجة بشاشين وطرحه

رايح ازور النبي واكمل الفرحة

انزلي يا حاجة ومدى خطاك

ان رعصك الجمل محمد حملك (هزك)

وأغنية أخرى تدل على مدى شدة الرغبة في الحج

يا رايحين للنبي خدوني معاكم

نشرب عكار القرب ونزوره في حماكم

يا رايحين للنبي خدوني معاكم

نشرب عكار القرب ونزور نبينا

تدل هذه الأغنية على شدة الرغبة في الحج حتى لو اضطروا لشرب الماء العكر والمتبقى في القرب والذى تعافه النفس .

شريفة أحمد عمران، ٧٥ سنة، القصر ١٩٩٣، القصر، شوقي عبد القوى .

٣٣- موط عاصمة الداخلة وتبعد عن القصر بحوالى ٣٠ كم .

٣٤- يوجد كثير من أهل الواحات بالقاهرة .

٣٥- يحدثنا الأستاذ ماهر عز الدين وهو أحد الرسامين عن كيفية الحصول على مواد الرسم «تجز المغرة وهي طينة حمراء. نأخذها من أماكن معينة من الجبل القريب وتطحن في الهاون وتترك في بعض المياه إلى الصباح ويضاف إليها قدر من الملح حتى يساعد على ثبات اللون حتى تتلون المياه وتصبح حمراء وميزة المغرة أن لونها ثابت لا يتغير في الشمس ولابد من أن يكون قوام محلول المغرة مناسباً للفرشة فلا هو بالغليظ ولا هو بالخفيف .

واللون الأزرق يجهز بزهرة الغسيل وماء وقليل من السكر الذى يجعل اللون ثابتا

وأحيانا يركب لون جديد فيخلط الأزرق مع الأحمر فيعطى اللون الأسود . وفرشاة الكتابة تعمل من عرجون النخيل حيث تقطع بالسكين ويدق طرفها بالهاون بالميل المطلوب كبيرا أو صغيرا ليعطى خطا سميكا أو رفيعا وكذلك فرشاة الرسم .

ماهر عز الدين يوسف، ش٨ و١ القصر ١٩٩٣ ، نفسه، سعد أبو بكر، ١٩٩٥ القصر .

خامات الألوان الترابية تكون أساسا من المغرة الحمراء RED OCHRE والمغرة الصفراء أكاسيد الحديد الطبيعية وقد ظل استخدام المغرة الحمراء كمصدر للون الأحمر على مر العصور .

والمغرة الحمراء عبارة عن خليط طبيعي أهم مكوناته هو أكسيد الحديديك المعروف باسم الهيماتيت، ويتميز بلونه الأحمر المائل للسواد، وأهم المصادر التى حصل منها المصرى القديم على المغرة الحمراء موقعان : أحدهما بالقرب من أسوان والآخر واحات الصحراء الغربية وخاصة فى الواحات البحرية .

ضحى محمود مصطفى (دكتور)، مرجع سابق، ص١٥ .

٣٦- كانت الرسوم ترسم على جميع واجهات المنزل من الخارج بحيث تحيط بالواجهة ولكن الآن غالبا ما ترسم فى مربع أو مستطيل لا يتجاوز مساحته مترا أو أكثر قليلا فوق باب المنزل، ويرجع ذلك إلى أن المنازل الآن أصبحت تبنى من الخرسانة، والواجهة بها بروز وفتحات كثيرة مما لا يتيح الكتابة بطول الواجهة ويبدو أن ذلك راجع أيضاً لضيق الوقت ولكثرة الحجاج الآن عن ذى قبل ولا يرسم فى تلك المنازل أيضاً بالداخل أما البيوت الطينية فلا يزال بعض أهلها يطلب الرسم على جميع الواجهة وبالداخل أيضاً .

وفى قرية القلمون من أعمال الداخلة ذكر لى سبب الرسم فى مربع صغير فوق المدخل وهو أن الشباب الملتحى يحارب الزخرفة فانصاع الناس لذلك.

٣٧- أحمد سنوسى خلف الله، ش٨٧ و٢ القصر ١٩٩٢ .

الفصـــل الـــرابـــع

احتفالات المسلمين بمناسبات دينية مسيحية

حد السعف – بركة الدم – أربع أيوب – خميس العهد – الجمعة الكبيرة أو جمعة الفطيرة – سبت النور .

رغم عدم وجود مسيحيين بواحات الصحراء الغربية سوى أفراد قليلين ليسوا من أهل المنطقة وإنما وفدوا للعمل من وادى النيل خاصة فى مهنة الصناعة وكموظفين وذلك منذ زمن بعيد وإلى الآن، إلا أن أهل الواحات كانوا يحتفلون إلى وقت قريب جداً ببعض المواسم الدينية المسيحية ومازالت بعض مظاهر الاحتفال موجودة إلى الآن .

فهل استمرت تلك الاحتفالات منذ أن كانت الواحات تدين بالمسيحية؟ أم أن بعض مظاهر هذه الاحتفالات صارت معتقداً فى الوجدان الشعبى فاستمر الاحتفال بها على هذا الأساس دون الالتفات إلى ما إذا كان هذا عيداً أو موسما خاصا بالإخوة المسيحيين؟ على كلّ فهذا يؤكد وحدة الجذور بين المصريين مسلمين ومسيحيين. ومن الجدير بالذكر أن المسلمين فى وادى النيل كانوا يحتفلون أيضاً بتلك المناسبات وإن تضاءل مظهر الاحتفال بها، فقد لحق بها ما لحق غيرها من مناسبات .

أما تلك المناسبات فهى حد السعف، الثلاثاء (بركة الدم)، الأربعاء (أربع أيوب)، خميس العهد، الجمعة (الجمعة الكبيرة أو

جمعة الصلبوت أو جمعة الفطيرة وسبت النور[1] .

واحتفالات المصريين ومشاركة المسلمين إخوانهم المسيحيين هذه الاحتفالات أو أعيادهم مشاركة قديمة فيكتب المقريزى عن خميس العهد «أنه يعمل قبل الفصح بثلاثة أيام حيث يملأ النصارى إناءً به ماء ويزمزمون عليه، ثم يغسل للتبرك به أرجل جميع النصارى ويقولون إن المسيح فعل هذا بتلامذته فى مثل هذا اليوم كى يعلمهم التواضع .

ويسميه العامة بمصر واعمالها خميس العدس لأن النصارى يطبخون فيه العدس المصفى، وخميس العدس يعتبر من المواسم العظيمة فى مصر فيباع فى مصر من البيض الملون كميات كبيرة مما يجعل العبيد والصبيات يتقامرون[2] به ويهادى النصارى المسلمين بعضهم بعضا بالسمك والعدس المصفى والبيض[3] ويدل هذا على حسن العلاقات بينهم .

أما ابن الحاج فلم يكن راضيا عن خروج النساء فى ذلك اليوم للزحام الشديد واختلاطهم بالرجال، وأيضاً المقامرة بالبيض وشراء السلاحف لزعمهم بإنها تطرد الشيطان من البيت وكذلك ما يقومون به من التبخر بالبخور ثم تخطيته سبع مرات ثم تفلهم فيه وزعمهم أن هذا يصرف عنهم العين والكسل والوعكة من الجسد[4].

«وسبت النور قبل الفصح بيوم ويقولون إن النور يظهر على قبر المسيح بكنيسة القيامة فى القدس، فتشعل مصابيح الكنيسة

كلها»[٥].

ويذكر ابن الحاج ما تفعله النصارى فى ذلك اليوم ويشاركهم فيه المسلمون «فكانوا يجمعون ورق الشجر والريحان فى الليلة السابقة لسبت النور ويوضع فى مياه، وفى الصباح يغتسلون به معتقدين أن ذلك يذهب عنهم الأمراض والكسل والعين والسحر وغير ذلك، وفى صبيحة ذلك اليوم يكتحلون بالكحل الأسود ويقولون إن من اكتحل يكتسب نورا زائدا فى بصره[٦].

ويتضح من الفقرات السابقة أنه مازال كثير من تلك الممارسات مستمراً إلى الآن، أيضاً تناول كلا من المؤرخ (المقريزى) ورجل الدين (ابن الحاج) لهذه الممارسات فالمؤرخ يرصدها ورجل الدين يجد أنها خارجة عن تعاليم الدين ويجب الإقلاع عنها.

وهناك كثير من الأعياد أو المناسبات الدينية غير ما سبق ذكره والتى كان المسلمون يشاركون فيها المسيحيين وقد انعدم ذلك الآن - مثل عيد الغطاس، النيروز، الشهيد[٧] وغيرها.

ولكن ماذا بقى الآن من تلك المظاهر فى الواحات حقيقة؟ لقد بقيت بعض المظاهر ولكنها خافتة تبدو على استحياء بمعنى أن قلة من الناس أصبحت تمارسها حتى أن كثيرا من الناس خاصة الصغار لا يعرفون شيئا عن هذا، وإذا عرفوا فكلام عام لا يفيد شيئا، وربما كان هناك بعض السلوك الذى فرغ من معناه ومضمونه ولكن البعض يمارسه، وهذا هو مدار ما يأتى:

فى المكس القبلى وهى إحدى عزب باريس عندما سأل الباحث

أحد كبار السن[٨] عن هذه الأيام ألقى إليه بقصيدة شعر وبسؤاله عن قائلها :

قال إنه سمعها من أناس أكبر ، ولم يحدد مصدرها ولم يعرف قائلها وهى كما قالها بالنص .

وفى يوم الثلاثاء الحجافة
فسفى ساعاته سفك الدماء
وإن طلب امرد يوما دواءً
فنعم اليوم يوم الأربعاء
لنعم اليوم يوم السبت حقا
لصيد إن أردت مالم ترائى
وفى الأحد البناء لأن فيه
تبدى الله فى خلق السماء
وفى الاثنين إن سافرت فيه
ستظفر بالهناء والثناء
وفى يوم الخميس قضاء حاج
ففيه الله يؤذن بالدعاء
وفى الجمعات تزويجا وعرسا
ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يعلمه إلا
نبىٌّ أو وصى الأنبياء[٩]

وفى هذا القصيد نرى أياماً ينطبق ما جاء بها على ما يتم فى

الأوساط الشعبية في المدن والريف، وهذه الأيام هي : الثلاثاء وفيه تجرى عملية الشريط، ويوم الأربعاء وفيه يطلب البعض الدواء بالاستحمام، وليلة الجمعة هي الليلة المفضلة لبدء الحياة.

ويذكر كريم زكي أن الجمعة العربية كانت تصور توزيع الأعمال على الأيام ومن ذلك ما ذكره أبو حيان التوحيدي نقلا عن بعض معاصريه من أن يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وعمارة، ويوم الاثنين يوم سعد وتجارة، ويوم الثلاثاء يوم حرب ومكافحة، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحاجات، ويوم الجمعة يوم خلوة ونكاح.

وقد نظم ابن الرومي هذا التصور شعرا فقال :

لنعم اليوم يوم السبت حقا

لصيد إن أردت بلا امتراء

وفي الأحد البناء فإن فيه

بدا الرحمن في خلق السماء

وفي الاثنين إن سافرت فيه

تنبأ بالنجاح وبالنجباء

وإن رمت الحجامة فالثلاثاء

فذاك اليوم مهراق الدماء

وإن رام امرؤ يوما دواءً

فنعم اليوم يوم الأربعاء

وفى يوم الخميس قضاء خير

ففيه الله يؤذن بالقضاء

ويوم الجمعة التنعيم فيه

وتزويج الرجال مع النساء

وباستعراض القصيدة المروية والقصيدة المكتوبة نجد أنهما قصيدة واحدة فى الكلمات وفى المعنى والقول، وأن الاختلاف طفيف فى بعض الكلمات وجاء هذا بالتأكيد نتيجة التواتر.

ويتضح من شعر ابن الرومى أن يوم الثلاثاء فى التراث العربى يوم مفضل للحجامة، وأن يوم الأربعاء يوم للشفاء ويوم الجمعة للزواج فهل تأثرت الثقافة المصرية بذلك .

فى الواقع أننا نجد أن يوم الحجامة المشهور عند المصريين هو يوم الثلاثاء الذى يسبق عيد الفصح فقط، وأن يوم الشفاء هو الأربعاء السابق لعيد الفصح والمعروف برعرع أيوب ولكن ليس معنى هذا أن الحجامة والشفاء قاصران على هذين اليومين ولكنهما مفضلين فى الثقافة المصرية، كما أن ليلة الجمعة هى الليلة المفضلة لبدء الحياة الزوجية[١٠] .

ويبدأ أسبوع الاحتفالات بالمواسم المسيحية بيوم الأحد وهو الأحد الذى يسبق عيد الفصح ويعرف عند المسيحيين بأحد الشعانين وهو أحد السعف وهو الاسم الذى يطلق عليه فى واحات مصر كما كانوا يسمونه عيد النصارى .

وهذا اليوم كان يرتبط في الواحات بأنواع معينة من المأكولات

والممارسات التى تتم فكان يطهى فيه ورق العنب وتذبح الطيور ويوضع البصل الأخضر تحت الرأس أثناء النوم، كما كانوا يعلقون العشار والبصل على الباب الخارجي، ولم يكن طهى ورق العنب بالذات فى هذا اليوم يرجع لأسباب اعتقادية ولكن لأن كروم العنب تنتشر فى الواحات وفى هذا الوقت من العام تكون مورقة، وذبح الطيور فى ذلك اليوم شىء طبيعى أما باقى الممارسات فهى لأسباب اعتقادية[١١] .

أما يوم الثلاثاء فكانوا يسمونه بركة الدم وكانت تجرى فيه عملية التشريط بالموسى فى الوجه لإسالة الدماء وليس هناك عدد محدد لعدد الشرطات فذلك متروك حسب الرغبة وحسب الحالة، ولم يكن هناك شخص معين يجرى هذه العمليات، بل كان يجريها أى إنسان قوى القلب رابط الجأش بالإضافة إلى حلاق القرية. وكانت عمليات التشريط هذه لاتجرى إلا لمن تعدى عمره خمسة عشر عاما تقريبا أو بمعنى آخر تعدى مرحلة البلوغ للذكور والإناث والهدف من هذه العملية هو الاعتقاد بأن هذه المسألة تشفى الرأس إذا كان بها صداع كما تجعل الإنسان يفيق بمعنى أنه يشعر بأنه كسلان وهذه العملية تجعله ينشط مرة أخرى .

ويعرف هذا اليوم عند المسيحيين بثلاثاء هارون الذى كان رئيسا لكهنة الكنيسة وقد أهدر اليهود دمه - وربما يكون إسالة الدماء فى هذا اليوم رمزا لإهدار اليهود دم هذا القديس .

أما يوم الأربعاء فهو المشهور عند المصريين (برعرع أيوب)[١٢]

وهو نفس الاسم الذى يسمى به هذا اليوم فى الواحات، وقد استحم سيدنا أيوب الذى ابتلى بكافة الأمراض فى ماء منقوع فيه نبات الرعرع فبرأ من مرضه، وحدث ذلك يوم الأربعاء فصار اسم هذا اليوم (رعرع أيوب) وتمثلا بسيدنا أيوب يضع الأهالى الرعرع فى الماء ويستحمون به فى هذا اليوم حيث يعتقدون أن هذا يشفيهم من المرض ويقيهم منه، وفى قرية القصر يستحمون فى العين ويدلكون أجسامهم بهذا النبات .

ويوم الخميس أسموه خميس العدس وهو عند المسيحيين خميس العهد وهو اليوم الذى اجتمع فيه سيدنا المسيح عليه السلام مع تلامذته وتناول معهم العشاء الربانى الأخير .

أما سبب شيوع تسمية العدس على هذا اليوم فيبدو أن ذلك راجع لطهو العدس فى ذلك اليوم. ولم نعرف لماذا العدس بالذات - حيث يأكل بعضه ويرمى الباقى على الأرض والحوائط اعتقاداً أن هذا يطرد الذباب ويمنعه. كما كانوا يضعون النيلة ليلة الخميس على الأبواب درءا للحسد .

يوم الجمعة (الجمعة الكبيرة أو جمعة الصلبوت أو جمعة الفطيرة) وكلها أسماء تطلق على هذا اليوم. ويذكر مصطفى فهمى أن عموم الأهالى تحتفل بموسم توارثوه عن أبائهم «الأورام» وهو يوم الجمعة الكبيرة للأقباط فيذبحون فيه الذبائح ويصنعون مبسوسة من الدقيق واضعين عليها سمنا وبلحا ويتحتم على كل شخص أن يأكل لحما كل حسب مقدرته والفقراء يأكلون من صدقات الأغنياء[١٣] .

ويذكـر الراوى أنهم كـانوا يعـرفـون بموعـد هذا اليـوم من طائر (طيرة) اسمها طويرة الفطيرة لونها أصفر وأزرق وعندما يظهر هذا الطائر نعـرف أن الجـمعة القادمة هى الجـمعة الكـبيـرة، والآن تذبح الطيـور فى هذا اليـوم ويسلق بيـضـتـان لكل فـرد ويعـملون فطيـر نشابة[١٤] وتلعب الأطفال بالجريد الأخضر[١٥] .

ويوم السـبت كـان يطلق عليـه سـبت النور[١٦]، كـان لابد من أن يتكحل الجميع بالكحل الأسود رجالا ونساء صغارا وكبارا فى صباح



فتاتان مكحلتا العيون فى يوم سبت النور بقرية القصر صورت عام ١٩٩٣

ذلك اليوم اعتقادا أن الذى يتكحل فى هذا اليوم لا تصاب عينه بأى مرض طوال العام فضلا عما يضفيه الكحل من جمال للعين[١٧] وقد تواجد الباحث بالقصر خلال هذا اليوم عام ١٩٩٢ ولاحظ أن عيون بعض الفتيات الصغيرات والكبيرات مكحلة .

والأمر الملفت أن مظاهر الاحتفال واحدة فى تلك المناسبات فى كل من القصر وباريس ، بل إننا نجد أن كثيرا من مفردات الاحتفال باقية منذ بواكير العصر الإسلامى حتى الآن مثل العدس ، تكحيل العيون والعلاج بالمياه والنبات ولو أننا تعمقنا تاريخيا أكثر فربما وجدنا تلك المظاهر فى العصور السابقة .

ومن هذا نجد أن أهل الواحات كانوا يحتفلون ببعض المناسبات الدينية الخاصة بالمسيحيين رغم خلو المنطقة من المسيحيين فضلا عن بعدها عن وادى النيل ، وضعف الاتصالات بينهما . وكما سبق من العرض نجد أن هناك بعض الممارسات مازالت تؤدى ولكن بصورة فردية وليست جماعية كما كانت فى السابق .

ويؤدى بنا هذا إلى القول بأن الممارسات أو العادات تستمر طالما لم يكن هناك تأثير وافد وانعزال المنطقة النسبى يؤدى إلى ثبات العادة رغم عدم وعى ممارسيها فى أغلب الأحوال بأسباب الممارسة ولكن الأجيال قد توارثتها . كما يؤدى إلى ثبات العادة وجود وظيفة لها ، ومعتقد خلف ممارستها أى أن يكون وراءها منفعة ما . فعلى سبيل المثال - نبات الرعرع يشفى والكحل يقى العين والعدس يمنع الحشرات .

الهوامـــش

١ - تقع هذه الأيام ضمن أسبوع الالام وهو أسبوع البصخة (الفصح) العبور إذ عبر السيد له المجد بالآمه وموته وقيامته من الظلمة إلى النور ومن الموت إلى الحياة، وأسبوع الألام ليس أسبوعا للحزن على (المسيح المتألم) لأن الآم المسيح الآم مشفية ومحيية والأيام التى يشارك المسلمون فيها المسيحيين احتفالاتهم إلى وقت قريب هي :

أحد الشعانين (حد السعف) هو أحد الأعياد السيدية الكبرى وهو عيد استقبال ملك الملوك فى دخوله أورشليم.. والسعف وغصن الزيتون يشيران لطبيعة السيد المسيح التى تحمل النصرة والسلامة .

ويحتفل أيضاً بأيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء وخميس العهد والجمعة العظيمة لمزيد من التفاصيل انظر:

بنيامين مرجان، الأمل يارب المجد، مصر، ١٩٩٣ .

بيشوى وديع، الأمل ربى، مصر ١٩٩٤ .

وفيما يلى تعريفات لهذه الأيام تعطى تفصيلا أكثر .

أحد الشعانين (حد السعف) دخول المسيح عليه السلام أورشليم ومظهر الاحتفال استقبال الناس له بسعف النخيل وأغصان الزيتون الأخضر .

اثنين البصخة : البصخة تعنى الآلام. وتقدم فيه ألحان جنائزية حزينة عن آلام السيد المسيح عليه السلام وبداية الحزن فى هذا اليوم .

ثلاثاء هارون : أحد قادة المسيحية الكبار وهو رئيس كهنة الكنيسة وقد أهدر اليهود دمه .

أربع أيوب : (رعرع أيوب) : رعراع نبات ينبت على جسور الترع وهو ما نسميه الآن الفولية وهى ذات رائحة جميلة ويقال إنها تشفى من الأمراض وقصة أيوب وما ابتلى به من أمراض وصبره عليها حتى شفاه الله هى قصة معروفة .

خميس العهد : اجتمع السيد المسيح عليه السلام مع تلامذته وأخذ معهم العشاء الربانى الأخير الجمعة الكبيرة : صلب السيد المسيح عليه السلام .

سبت النور : نهاية الآلام وبداية الاستعداد للعيد

فوزية سعيد نسيم ، الثقافة الجماهيرية فى مصر ، حديث ، شوقى عبد القوى ١٩٩٤ .

٢- ارجع إلى فصل الاحتفال بالعيدين حيث مازالت المقامرة بالبيض مستمرة فى القصر وهى للتسلية وليست مقامرة بالمعنى المفهوم .

٣- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد) الخطط ، مصر د . ت ، جـ١ ، ص٤٩٨ .

٤- ابن الحاج (أبو عبدالله محمد بن محمد العبدرى) ، المدخل ، مصر د . ت جـ٢ ص . ص ٥٤ - ٥٥ .

قاسم عبده قاسم - أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ، مصر ١٩٧٧ ص ص ١٦٤ - ١٦٥ .

٥- المقريزى ، نفسه ، ص . ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

٦- ابن الحاج ، نفسه ، ص . ص ٥٦ - ٥٧ .

٧- لمزيد من التفاصيل ، انظر سعيد عاشور (دكتور) المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، مصر ١٩٦٢ ، قاسم عبده قاسم (دكتور) ، نفسه ، شوقى عبد القوى (دكتور) الطفل وأعياد مصر قبل الحكم العثمانى ، مجلة الفنون الشعبية - العدد ١٨ .

٨- محروس ساسة ، ٨٠ سنة ، المكس القبلى ، عراس ومزارع ، س٦ ، ١ ، ٢ ، المكس القبلى ١٩٩٣ - شوقى عبد القوى .

٩- نفسه .

١٠- كريم زكى حسام الدين (دكتور) ، الزمان الدلالى ، القاهرة ١٩٩١ ص . ص ٩٥ - ٩٦ .

١١- انظر الاحتفال بشم النسيم .

١٢- الرعرع نبات زكى الرائحة كالنعاع ويطلقون عليه فى بعض المناطق الفُلية - لاحظ اسم النبات فهو اسم إله قدماء المصريين رع مرتين .

١٣- مصطفى فهمى ، نفسه ، ص١٣٧ .

١٤- لاحظ الباحث وجود هذه العادات فى كوم الراهب بسمالوط بالمنيا .

١٥- محروس ساسة ، نفسه ، ش٦ و ١ .

١٦- فى تسجيل من قرية بلاط عام ١٩٧١ يذكر الراوى يوم الاثنين ويسمونه الشمامة فكانوا يحضرون البصل ويضعونه تحت رؤوسهم فى الليل وفى الصباح يأخذونه

ويسلقون بيضا ولابد من أن يكون عدد البيض فرديا واحدا أو ثلاثة ولابد من أن
تذبح الناس بعض الطيور كلٌ ومقدرته .

الجمعة الكبيرة / كانوا يخبزون فطيرا وكعكا وأيضاً نشترى لحوما أو نذبح . وكان
الأولاد يخرجون إلى الحقول وكل ولد ممسكا بجريدة حيث يلعبون ويعودون بعد
فترة ليأخذوا غذاءهم ويتناولوه عند مقام الشيخ يونس .

سبت النور: في صباح هذا اليوم كان لابد من إحضار مياه من العين وتكب أمام عتب
الأبواب جميعها . ولابد للجميع النساء والذكور والكبار والصغار من التكحل
صباح ذلك اليوم وكان الفقي يكتب أوراقا ويلف على البيوت ، ويعطى لكل واحد
ورقة يبلعها بدون مياه ، وكان هناك اعتقاد بأن الذى لا يتكحل لن يرى

منصور سنوس منصور ، بلاط ، ش رقم ٤٦ عن الأصل ٦٣٥ و١ ١٩٧١ ، الجامع أ. عبد
الحميد حواس .

١٧- محروس ساسة ، نفسه ، أم عمر مصطفى ، ش ٥ و٢ ١٩٩٣ ، ثابت زايد ش٥ ، و٢
١٩٩٣ .

محمد محمدين خلف الله ، القصر ١٩٩٢ ، شريفة أحمد عمر ، القصر ١٩٩٣ ، آمنة
إمام سيد ، القصر ، ١٩٩٥ .

الفصل الخامس

الاحتفالات الخاصة بالأعياد العامة والمناسبات الخاصة

شم النسيم – حصاد القمح – جمع البلح – آبار المياه–
كسوف الشمس – خسوف القمر – الهواء الشديد –
اختلاق مناسبة

تعتبر مصر فقيرة في وجود هذا النوع من الاحتفالات الخاصة بالأعياد العامة والمناسبات الخاصة وينسحب هذا بالضرورة على الواحات فليس هناك احتفال عام خرج عن النطاق الديني سوى الاحتفال بشم النسيم، كما لم تعد احتفالات المناسبات الخاصة موجودة مثل مناسبات الحصاد وحفر الأبار وغيرها، والذى كان يميز احتفالاتها أنها كانت تتم في نطاق ضيق، ولم يكن احتفالا بالمعنى المفهوم للاحتفال .

وهناك احتفالات اندثرت ولم يعد يحتفل بها، وذلك لأنه عرف سبب الظواهر المسببة لها - كالاحتفال بكسوف القمر وخسوف الشمس وهبوب الرياح .

وفي حقيقة الأمر إن إطلاق تسمية احتفال على مناسبات الحصاد[1] تسمية فيها تجاوز إلى حد ما، حيث لا تتم دعوة أحد لحضور احتفال أو القيام بأية ممارسة احتفالية كالغناء أو الإنشاد، ولا يوجد هناك تجمع لاحتفال ما. ولكن نستطيع القول بأن هناك حالة من البشر تنتاب صاحب المحصول الذى ينتظر هذا المحصول لكى يستخدم عائده فى قضاء بعض حوائجه، وبما أن أهل القرية من

الفلاحين وعماد حياتهم هى المحاصيل الزراعية لذلك تكون هناك حالة من البشر والفرح تعم القرية ويصدق هذا أيضاً على دق بئر للمياه .

وقد حاولت الدولة أن تقيم احتفالات عامة لبعض المحاصيل ولكن لم تنجح الفكرة حيث أصبح الاحتفال قاصرا على الأجهزة الرسمية وماتت الفكرة .

أما الاحتفال بكسوف الشمس وخسوف القمر فنستطيع أن نعتبره احتفالا ، وإن كان هذا الاحتفال لايقام فرحا أو سعادة بمناسبة ما ، ولكنه يقام لدرء خطر أو شر متخوف منه ويميز هذا الاحتفال أنه ليس له موعد ثابت أو موعد دورى ولكنه يتم حسب وجود الحالة الداعية إليه ويمكن أن تمر سنوات دون أن يقام هذا الاحتفال .

وشم النسيم[٢] هو الاحتفال الجمعى أى الذى يحتفل به الجميع - الوحيد المستمر عبر العصور والباقى حتى الآن . وهو الاحتفال الوحيد الذى يخرج عن سياق الاحتفالات التى يحتفل بها حتى الآن ، فكل المناسبات التى يتم الاحتفال بها على مستوى الجماعة هى مناسبات دينية ، وشم النسيم هو احتفال غير دينى ورغم ذلك استمر الاحتفال به على مستوى الجماعة فى جميع أنحاء مصر . ولم يختف كما اختفت مناسبات أخرى أهمها وفاء النيل .

ومنذ زمان بعيد يزيد عن الأربعين عاما كان شم النسيم يعرف فى باريس باثنين البيض[٣] وكان الاستعداد يبدأ من اليوم السابق عليه فيجمعون البيض ويقومون بتلوينه مستخدمين التفته

والكركديه، وفى ليلة شم النسيم - اثنين البيض - يعلقون على الباب الخارجى فرعاً من شجرة العشار، والأطفال هى التى تأتى بهذه الأفرع، وبجوار فرع العشار تعلق بصلة أو بصلتين وتستمر هذه المعلقات إلى نفس الموعد من العام القادم حيث ترفع ويوضع غيرها[٤] .

ويفسر البعض وضع العشار والبصل على الأبواب بأن شجر العشار دائم الخضرة ولذلك يتفاءلون لأن وضع هذا الفرع من الشجزة المستديمة الخضرة سيجعل «سنتهم خضرة» أى سعيدة. أما البصل فلم يجد راوينا تفسيرا لوضعه إلا أنه تقليد لمن سبق[٥] .



شجرة العشاء والتى تعلق على الأبواب بباريس فى شم النسيم حيث يتفاءلون بها لأنها دائمة الإخضرار صورت ١٩٨٦

ويبدو أن العشار يوضع للاعتقاد بأنه يمنع الحسد لوجود المادة اللبنية الضارة بالعين به، إضافة لمقولة التفاؤل به لخضرته الدائمة، أما البصل فكما هو شائع في أنحاء مصر لكي يطرد الأرواح الشريرة. ولكن بعد الزمن فضاع المعتقد من أذهان الناس وبقيت العادة .

أيضاً لابد من وضع بصلة[٦] تحت الوسادة أسفل رأس كل فرد في البيت وفي صباح يوم الاثنين (شم النسيم) قبيل الإفطار تكسر البصلة وتشم لأن وضع البصلة وشمها يطرد الأرواح الشريرة من المكان لأن رائحة البصل غير مقبولة[٧] .

وفي صباح يوم شم النسيم ينطلق الجميع إلى الحقول والحدائق (الغيطان والجناين) آخذين معهم الطعام والشراب ويتكون غالبا من السردين والفسيخ والبيض[٨] والبصل وغير ذلك ولكن ما سبق هو الغالب على نوعية الطعام في هذا اليوم .

وتتجمع النساء سويا، والرجال سويا، والأطفال يتنقلون بين هؤلاء وهؤلاء. ويكون هناك اتفاق مسبق بين الأسر التي ستخرج سويا على المكان الذي سيذهبون إليه. ويمضي الجميع اليوم في الحدائق حتى ينقضي النهار فيقفلون عائدين إلى منازلهم[٨] .

وجدير بالذكر أن الباحث لم يجد إجابات شافية عن أسباب اختيار هذه النوعية من الطعام في هذا اليوم، وبالرجوع إلى تاريخ شم النسيم ومعرفة أن الاحتفال به كان يرجع إلى رأس السنة الزراعية. ومصر بلد تعتمد حياتها منذ البدء على الزراعة لذلك

يبدو أن أكل البيض فى هذه المناسبة راجع إلى أنه يرمز إلى الخصب ، وإلى تجدد الحياة .

ونجد أن الفسيخ والسردين من الأكلات المحببة للصائمين من المصريين وشم النسيم يعقب صيام المسيحيين فلذلك كانوا يفضلون تناول الفسيخ والسردين فى هذا اليوم فاستمر وشاركهم المسلمون فى ذلك ونلاحظ أن المسلمين عقب صيامهم يفضلون تناول الحاذق من الطعام والمملح من الأسماك .

واستمر الاحتفال بشم النسيم ومازالت الصورة السابقة للاحتفال به هى نفسها الآن ، إلا أن ظاهرة تعليق العشار والبصل على باب البيت أوشكت على الاختفاء .

وتروى السيدة أمنه إمام عن ذكرياتها عن شم النسيم منذ أربعين عاما فى القصر فتذكر أن كل منزل كان يعلق على الباب الخارجى حزمة بصل أخضر ودمسيسه[١٠] وذلك فى اليوم السابق ليوم شم النسيم وفى ليلة هذا اليوم يوضع لكل فرد بصلة واحدة تحت الوسادة التى ينام عليها لأن البصل فضلا عن طرده للأرواح الشريرة فيطرد الوباء والحشرات ويعلق لكل طفل ملجم[١١] خاص به بيض ملون وبصل وخبز وعندما يستيقظ الطفل فى الصباح يتناول إفطاره من الملجم الخاص به .

وفى صباح يوم شم النسيم يعمد البعض إلى دق بصل ووضعه فى مياه باردة[١٢] وترش على عتبة الباب مع ترديد عبارة باردة باردة يارب اجعلها سنة باردة علينا وعلى أولادنا وعلى المسلمين «ويفعل

ذلك اعتقادا أن هذا يحمى الأطفال من الإصابة بالحصبة»[١٣] .

وفى صباح يوم شم النسيم تذهب الأسر كبارا وصغارا إلى الجناين ومعهم طعامهم ويتكون من البيض والفسيخ والسردين وغير هذا مما هو متاح[١٤] .

ولا يختلف الاحتفال الآن كثيراً عما سجل فى عام ١٩٧١ فى نفس القرية نفس المظاهر والعادات[١٥] وإن كانت ظاهرة تعليق البصل قد قلت الآن بالإضافة إلى وضع الأكل للأطفال فى الملجم قد قل أيضاً كثيرا عن ذى قبل. إلا أن الخروج إلى الجناين وأنواع الطعام التى يأخذونها معهم هى نفسها .

ومن ذكريات الناس والتى لاحظت أنها عالقة بأذهان الكثيرين : ذكرياتهم عن التوت فيذكرون «أن صاحب شجرة التوت لا يستطيع منع أحد من أكل التوت من الشجرة، فهناك عرف بأن ثمر التوت مباح للجميع بل يصل الأمر إلى أن الجنينة التى بها التوت لا يستطيع صاحبها منع أحد من دخولها وقطف التوت وحتى لو أصبنا الجنينة بأضرار ودائما ما يتوافق شم النسيم مع إثماره فكانوا يهجمون على شجر التوت ويلتهمون ثماره[١٦] .

ومع حلول الظلام يقفل الناس عائدين إلى القرية من الجناين التى لا يذهبون إليها بهذه الصورة وبهذا العدد إلا فى العام القادم وفى نفس اليوم .

ومما سبق نجد أن حفاوة الناس بشم النسيم واحتفالهم به لم تتغير منذ آلاف السنين، حتى أنواع الطعام فى هذا اليوم استمرت كما

هي. الاختلاف الحادث فقط على مر السنين هو عدم إقبال الأغلبية على تعليق البصل والدمسيسة والعشار وغير هذا، ولكن استمر تلوين البيض، و نفس أنواع الطعام، والخروج إلى الجناين أيضاً نجد أن البصل صنف ثابت في معلقات الباب الخارجي في أي مكان والتنويع في الأصناف الأخرى فيمكن أن يكون العشار كما في باريس أو دمسيسه كما في القصر أو عرائش الفريك كما في بعض البلدان الأخرى - وهذا راجع إلى توافر النبات في المنطقة وما يعتقده الناس تجاه هذا النبات .

ولكن لماذا تلك الاستمرارية في الاحتفال بشم النسيم رغم وجود احتفالات أخرى قديمة، واحتفالات أخرى استجدت على مدى تاريخ مصر فكل غاز له أعياد، وكل دين له مناسبات وله أفراح.. ولكن اختفى كل هذا في متاهات الزمان، ولم يبق سوى شم النسيم، هل لأنه احتفال مصرى صميم ارتبط بحياة المصريين حيث يقع في رأس السنة الزراعية المصرية وفي أوائل الربيع حيث تتفتح الأزهار وتبدأ الشمس في إرسال أشعتها الدافئة، فتنمو المحاصيل الزراعية بعد فترة توقف النبات في الشتاء؟ اختفى السبب أو الأسباب التى أدت إلى استمرار الاحتفال بشم النسيم وبقى الاحتفال شاهدا على قوة ودوام العادة أو الممارسة التى تنبت من الشعب .

ولما للمحاصيل الزراعية من أهمية حياتية في حياة أهل الواحات، فهى المأكل ومنها يصرف على شئون الحياة الأخرى، وفي

واقع الأمر عندما نذكر محاصيل زراعية يتبادر إلى الذهن أسماء أصناف كثيرة منها والحقيقة أنهما كانا محصولين مهمين فقط هما: القمح ويحصد فى شهر مايو، والبلح ويجمع فى شهر سبتمبر وأكتوبر بالإضافة إلى بعض الزراعات الثانوية.

وقد استمر هذان المحصولان يمثلان القوة الشرائية فى اقتصاديات الواحات حتى عقدين من الزمان، حيث عرفت الواحة محاصيل زراعية جديدة، وكان ذلك نتيجة لتواجد وسائل النقل التى عن طريقها نقل الفلاحون حاصلاتهم الزراعية إلى أسواق الاستهلاك فى وادى النيل لأنه من المعروف أن الأسواق الاستهلاكية بالواحات أسواق ضعيفة وفى واقع الأمر أن هذا هو السبب الرئيسى فى تغير نمط الزراعة من نمط استهلاكى إلى نمط تسويقى هذا التحول غير من التعامل بالمقايضة إلى التعامل النقدى، أيضاً ساعد على ذلك كثرة العمل فى الأجهزة الحكومية .

وكان القمح أهم المحاصيل الزراعية بالواحات ويعتبر موسمه الذى يبدأ بحصاده فى شهر مايو من المواسم المفرحه لأهل الواحات. حيث إنه المحصول الغذائى الرئيسى الذى يتعيشون عليه طوال العام كما يسددون منه ديونهم للصناع وغيرهم، ولذلك كانت تتم بعض الممارسات التى تؤكد على أهمية القمح فى حياة أهل الواحة .

ففى قرية باريس مازال بعد الانتهاء من درس القمح وتذريته، يوضع فى صبرة[١٧] أى على هيئة كومة. ويوضع فى الصبرة رغيف خبز وقدراً من الملح - مباركة وزيادة الخير - ثم يحضرون ملائتين أو

أكثر تغطي بها الصبرة، ويكتبون عليها «بسم الله الرحمن الرحيم» ويحضرون المواعين[١٨] .

يبدأ أحد الأفراد المخصوصين الكيل حيث لا يعرف أى فرد كيف يكيل الحبوب كما أن هناك بعض العوائد أو الأعراف التى توارثها الناس جيلا بعد جيل وأصبحوا يؤدونها دونما تفكير بل أصبحت سمة فى السلوك فى مثل هذه الحالة .

ويبدأ تكييل الجرن، وإذا مر أحد الأشخاص أثناء الكيل لا يلقى بالتحية المعتادة وهى السلام عليكم، ولكن يقول «البركة عندكم» ويرد الحاضرون بقول «مرحب» وعند بدء الكيل لابد من أن تكون أول ميشتين للشيخ[١٩] ويأخذهم الكيال[٢٠] .

وكل جوال يملأ أو قفة (حمارية) يأخذ الكيال بيده بعض الغلة من الجوال أو القفة ويضعها مرة أخرى على الصبرة، وذلك حتى تستمر البركة ولا تنفد الصبرة وأثناء الكيل لابد من أن يضع الكيال الجوال أو القفة عن يمينه[٢١] .

ولو مر أحد الأشخاص أثناء الكيل[٢٢] لابد من أن يعطيه صاحب الجرن قدرا من الغلة على حسب المقدرة لأن عدم إعطائه يعتبر عيبا ويحدث ذلك أيضاً بالنسبة لأى محصول فى الأرض ويكون رد آخذ الشيء «بعودة... كل سنة وأنت طيب يعود عليك الأيام بخير» وعند تخزين المحصول لابد من إرسال قدر منه للأقارب والأحياء[٢٣] .

كذلك كان مختلف الحرفيين كالمزين والنجار وغيرهم يمرون ليأخذوا أجورهم، حيث كانت الأجور تعطى فى مواسم المحاصيل فلم

يكن يأخذون أجورهم نقدا مثل الآن . وكان يطلق على هذا الأجر العشاء (ياخذوا عشاهم)[٢٤] .

أما في القصر فكانت ومازالت أيام الحصاد تسمى الحشد بمعنى أنه عندما ينوى أحد الأشخاص حصد القمح أو الأرز يذهب إلى أقاربه وأصدقائه ويدعوهم لمساعدته في العمل ومن هنا جاءت كلمة الحشد ؛ لأنهم يحتشدون للقيام بهذا العمل وبالمثل يذهب هذا الشخص لمساعدة من قدموا له المساعدة حيث إنه يوجد تعاون تام بين أهل القصر[٢٥] ، وهذه الظاهرة نفسها موجودة في ريف وادى النيل أثناء جنى القطن أو حصد القمح وغيرها من الأعمال الزراعية وتسمى في بعض المناطق بالمنوفية : المزاملة .

وكان موسم الحصاد له فرحة عند الجميع فالصنائعية (النجاورن، الحلاقون، الحدادون ...) يمرون في وقت الحصاد على الحقول، ويطلب الواحد منهم من صاحب الحقل أن يعطيه عشاءه، فيقول له صاحب الحقل «اذهبِ ولِم عشاك»، فيذهب الصنائعى ويأخذ من المحصول على قدر الحبل الذى سيربط به من قش القمح، وهذا العشاء نظير قيام الصنائعى بصناعة أو تصليح أى شىء يطلب منه دون مقابل نقدى، واستمر هذا النوع من التعامل حتى أواسط العقد السابع، حيث أصبح العمل بمقابل نقدى وطبعا لم يتم التغيير دفعة واحدة[٢٦] .

وإلى الآن توجد بقايا من هذه العادة ولكن بصورة مختلفة رغم أن العمل أصبح بمقابل نقدى ففى أثناء جمع المحصول يذهب

الفخارى مثلا ويعطى قلتين أو بعض الجرار لصاحب الحقل ويطلب عشاءه فيقول له «اذهب ولم عشاك» فيذهب ويأخذ من المحصول الموجود[٢٧] .

وتعتبر هذه العادات فى عرف الجماعة نوعا من العدالة الاجتماعية حيث إن الذى ليس عنده أصبح عنده[٢٨] وبالإضافة إلى ذلك يرى الباحث أن هذا نوع من التبادل فواحد يعطى منتجا زراعيا مقابله يتقاضى قوة العمل، وبصورة أخرى يحدث تبادل بين القوة والطاقة .

لذلك اكتسب القمح أهمية فى حياة الجماعة فهو عماد الحياة ومحورها لذلك كان لابد من عمليات المباركة لكى تحفظه وتزيده وأيضاً يصل القمح الأرحام ويزيد فى الألفة بين الناس ويخلق حالة من التواد والحب فهو المعطوف به من العاطف إلى المعطوف عليه .

ولهذه الأهمية اكتسب القمح مكانة تقرب من القدسية فالمكان الذى به القمح لا يدخله إلا المطهرون ولا تطؤه الأقدام إلا حافية ليس بها مركوب، وعملية الكيل تبدأ بذكر وحدانية الله[٢٩] فى المكيال الأول «الله واحد» والتأكيد على ذلك فى المكيال الثانى «مالوش تانى» .

وبعد تذرية القمح يوضع خبز وقدر من الملح فى كومه القمح لكى تحل فيه البركة، ولأن الزراعة غالبا ما تكون مشاركة بين المالك والزارع فيعنى الخبز والملح أن هذا عيش وملح بين الشركاء فلا يخون أحدهم الآخر وبدلا من أن يقول الشريك لشريكه تعالى

نقسم القمح يقول له تعالى نبارك[٣٠] .

وعملية المباركة لا تتم إلا بعد صلاة الجمعة وذلك إذا صادفت يوم الجمعة حيث لا يوجد عمل قبل الصلاة .

ويوم المباركة هو يوم الكيل حيث يقوم صاحب القمح بذبح جدى أو أى شيء على حسب المقدرة ليأكله هو ومن يساعدونه فى هذا اليوم. ثم يبدأون فى مباركة الغلة أى كيلها وإذا سمع الكيال صوت حمار يتوقف عن الكيل[٣١] ولم يقدر الراوى تفسيرا لذلك إلا أنه يبدو أن ذلك يحدث لأنه يذكر اسم الله أثناء عملية الكيل، فلابد له من التوقف إذا سمع أنكر الأصوات .

وبعد مباركة القمح ينقل إلى البيت حيث يوضع بالحاصل (المخزن) الذى لا يدخله إلا رجل البيت ولابد من أن يكون على وضوء ويخلع المداس قبل الدخول ولا يعرف ما بالحاصل إلا الرجل[٣٢] ويبدو أن ذلك راجع إلى فكرة الطهارة عند الرجل .

وكان موسم القمح هو بداية موسم الفرح فى القرية فهو موسم الزواج الذى كان يتم بعد - كما كانوا يسمونه فى القصر - دخول القمح وهو موسم قضاء الحاجات وسداد الديون فالجميع منتظر وسعيد بهذا المحصول. فقد كان القمح يحدث حالة من الرواج فى القرية[٣٣] وإن اختفى ذلك الآن، فامتدت أفراح الزواج على مدار العام وإن كثرت فى الصيف لما يحمله فى طياته من قدرة على السهر وكثرة الإجازات وحضور البعيدين.

ولأهمية محصول القمح شملت عملية تذريته وكيله وتخزينه

بعض العادات والمعتقدات التى أدت إلى وجود بعض الممارسات التى بدونها لن تحدث البركة للقمح ولن يزيد محصوله إذن فلابد من القيام بها . والآن ضعف هذا المعتقد ولكنه مازال يتحكم فى الممارسة ربما كالعادة .

ومما سبق يتضح أن القمح كان يقوم بوظيفة النقود في العصر الحاضر فقد كان إلى وقت قريب -لا يتجاوز عشرين عاما- وسيلة للتعامل فيعطى للحرفيين كأجر ويتم به دفع قيمة بعض المشتريات السلعية وهكذا. ومن القمح أيضاً توزع الصدقات وتعطى الزكاة ويرسل كهدايا للأقارب والأحباب .

وبالنظر إلى كل ما يحدث في قريتى باريس والقصر نجد أنه لا توجد فروق تذكر في ممارسات حصد وتذرية وتخزين القمح وكذلك فى أهميته ووظيفته أو دوره الاقتصادى فى كلا القريتين . والاختلاف الطفيف فى بعض التسميات فقط .

والآن لم تعد الفرحة بمحصول القمح كما كانت سابقا فقد اختفت تلك الفرحة ، ولذلك أسباب ؛ فالقمح لم يعد مصدر الدخل الوحيد فقد تعددت المصادر كالمرتبات والدخول المهنية والسفر إلى خارج مصر وخارج الواحة وما يتبع ذلك من تدفق نقدى نحى أهمية القمح جانبا .

وندرك يقينا اختفاء مظاهر الاهتمام بزراعة القمح والفرح بحصاده عندما نرى أجولة الدقيق المستورد وقد أصبحت هى الأساس فى عملية إنتاج الخبز فوداعا للريف المنتج وأسفا على

الريف المستهلك .

وكان المحصول الرئيسي الثاني في واحات مصر من حيث الأهمية الاقتصادية هو البلح وكان يجمع خلال شهري سبتمبر وأكتوبر. ومازالت تلك الأهمية إلى الآن ولكن بالنسبة لاقتصاديات المحافظة حيث تقوم بتصنيعه. أما بالنسبة للأفراد فقد تعددت مصادر دخولهم ولم يعد للبلح أهمية كبيرة كما كان من قبل .

وكانت أيام الدميرة وهي أيام جمع المحصول تعتبر من أيام الفرحة والبهجة في كل من القصر وباريس، كما كان أهل القريتين -إلى زمن قريب لا يتعدى العشرين عاما- يعتمدون على عائد المحصول لتسديد ما عليهم من ديون وفي مصاريف الزواج الذي كان يبدأ أولى خطواته مع درس القمح[٣٤] .

ولما كان يعم القرية من أفراح بجمع محصول البلح[٣٥] كانت النساء تغني أغاني خاصة بكرم البلح، وهو الاسم الذي يطلق على جنينة البلح مثل :

ده كرم مين أبو السبع بيبان (سبع أبواب كناية عن اتساعه)

ده كرم ابوي اللي عطاني وصفته

ده كرم مين يجود وله عبارة (اكرم الرجل الكريم، والعبارة هي التي تصل مياه الري إلى الحقل).

ده بلح الصعيد اللي يريد عصارة[٣٦] (كناية عن شدة حلاوته والبلح الصعيدي من أشهر أنواع البلح هناك)

ويصدق على محصول البلح ودوره في حياة القرية الآن ما سبق

وذكرناه عن محصول القمح. فلم يعد لجمع محصوله نفس الفرحة كما فقد تأثيره فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

للمياه أهمية كبيرة وحياتية فى تلك الأرض القاحلة ولذلك عندما كانت تتفجر المياه من البئر بعد مشاق الحفر والدق الذى كان يستمر شهورا طويلة يندفع جميع الحضور تجاه الماء ليغسلوا وجوههم ويشربوا من تلك المياه(٣٧).

ويذبح أصحاب البئر عجلا أمام البئر يفرق على أصحاب البئر والفقراء وغيرهم ويدعون الأقارب والجيران لتناول الطعام الذى يعدونه من لحم العجل(٣٨).

وفي أثناء حفر البئر كان العاملون يؤدون أغنيات لتسهيل العمل وقطع الوقت فضلا عن أن إيقاع هذه الأغانى كان يساعد على تنظيم العمل فتأتى حركة العمل كلها فى توقيت واحد. ومن هذه الأغانى(٣٩).

يا عين كونى صبارة
والمية جاية فى الماسورة
يا عين شوية شوية
المية اهى جاية
صلى على النبى صلى
صلى يا راجل صلى
صلى واللى ما يصلى
صلى فى النار يتقلى(٤٠)

ونفس ما كان يحدث في باريس كان يحدث مثله في القصر من احتفال وفرحة فالعمل شاق والأرض قاحلة، لذلك كان العاملون يندفعون ناحية المياه فيشربون ويغسلون وجوههم بالماء[٤١] ويذبحون عجلا أمام البئر يفرق جزء منه على الفقراء ويولم بالباقى[٤٢] .

والآن أصبحت الشركات الحكومية هي التى تتولى عملية حفر الآبار بآلاتها الضخمة، ولم يعد أهالى القرية يقومون بتلك العملية بل أصبحت تسلم إليهم آبار المياه جاهزة، وهكذا اختفت الفرحة التى كانوا يشعرون بها بعد التعب والمشقة، والتى تنبع من لذلة العمل .

مما لا شك فيه أن الظواهر الطبيعية نادرة الحدوث والغريبة على الناس والتى ليس لها تفسير لديهم تصيب الناس بحالة من الهلع والذعر ولذلك فليس لها من دون الله كاشفة وكسوف الشمس وخسوف القمر ظاهرتين ينطبق عليهما ما سبق فماذا كان يحدث فى مجتمع الواحات .

لم يحدث للشمس كسوف فى حياة راوينا بباريس سوى مرة واحدة ويتذكر الراوى ما حدث وكان ذلك منذ حوالى ثلاثين عاما فيقول «وجدنا الشمس قد اختفت ولم يبق منها إلا جزء بسيط قد المليم[٤٣] فخرج أهل البلد والرجال والأطفال والبعض معاه علب صفيح والآخر حلل وكل واحد يضرب على ما يحمله سواء حلة أو علبة بعصاة ويقول أحدنا :

لا إله إلا الله

الآخرون	محمد رسول الله
المؤدى	يا فارج
الاخرون	يا فارج الكروب
المؤدى	ياالله
الآخرون	ياالله
المؤدى	يا مجلى الشمس أو (القمر)
الآخرون	ياالله

ونستمر فى اللف والضرب على الأوانى حتى تعود الشمس كما كانت .

«وعند خسوف القمر نقول القمر حاجب ويخرج أهل البلد بنفس الصورة السابقة فى كسوف الشمس ونستمر فى اللف أيضاً حتى يرجع القمر لحاله وينور»(٤٤) .

وفى القصر كان يخرج فى حالة كسوف القمر أو خسوف الشمس ثلاثة أو أربعة رجال من أهل القرية لابسين ملابس الإحرام أو يصعدون على الجبل القريب ويصلون ويستمرون فى ذلك حتى ينتهى الكسوف أو الخسوف. وفى نفس الوقت كان أهل القرية يخرجون فى مجاميع ويلفون البلد ضاربين بالعصى على أى شىء من نحاس أو صفيح لكى تصدر صوتا عاليا وفى نفس الوقت يتلون القرآن وهم سائرون ويستمرون فى ذلك حتى يعود القمر أو الشمس كما كانت(٤٥) .

ومن الظواهر الطبيعية التى كانت تضر بالزراعة فى الواحات الهواء الشديد، ومن المعروف أن الهواء يكون أكثر شدة كلما كانت المساحات خالية شاسعة ولا يعوقه عائق من أشجار أو مبانٍ لذلك كان الهواء يتسم بالشدة خاصة خلال شهرى إبريل ومايو وكان ذلك الهواء يعوق زراعة المحاصيل الصيفية. فماذا كانوا يفعلون فى كل من قريتى باريس والقصر ؟

كان لكثير من أهل باريس خبرة بنوعية الهواء ومواعيده فعند بداية هبوب الريح يجتمعون عند الجامع حيث يجمع منهم شيخ البلد أو العمدة نقودا يشترى بها عجلا يذبح أمام الجامع، وقد استمر ذلك إلى زمن لا يتعدى عقدين من الزمان .

بعد شراء العجل يتم ذبحه وطهيه عند أسرة أو أكثر ثم تقام وليمة فى الجامع عند الانتهاء من طهى العجل وتناول الطعام وليس لهذا وقت محدد، ثم يقرأ الجميع الفاتحة جماعة ويذكرون الله ويدعون الله أن يخفف هذا البلاء ويدفعه عنهم ويصلون ركعتين[٤٦] .

وفى القصر كان الناس يتوافدون إلى الجامع حيث يجتمعون ويتلون القرآن[٤٧] ويدعون الله أن يزيل هذا البلاء ويكشف عنهم الغم .

ومما لاشك فيه أن الأعياد والأفراح والمناسبات كانت تقطع رتابة الحياة فى تلك المناطق المنعزلة، وأحيانا كانت تطول الفترة بين المناسبة والأخرى لذلك كان يعمد أهل القصر حينما يمر وقت طويل

دون أفراح إلى اختلاق مناسبة للاحتفال فيأخذ أحد الأشخاص بندقيته ويذهب أمام بيت العمدة أو أمام بيت خلف الله أو عند عيلة الحاج مجاهد أو أى فرد من كبار رجال القرية ويطلق رصاصتين من البندقية فى الهواء، ويعرف الناس أن فلانا هذا قد أطلق الرصاصتين كتسلية فيرد عليه آخرون بطلقات أخرى ويتجمع أهل القرية .

ويقوم أهل القرية بذبح عجل يتبرع به أحدهم أو يساهم فيه مجموعة من أهل القرية ويقام احتفال به طبل وزمر وغناء وزغاريد ويستمر هذا لمدة يوم أو أكثر(٤٨) وهكذا تخلق الناس مناسبات للاحتفال والفرح .

مما سبق نجد أنه لا يوجد اختلاف بين كل من باريس والقصر فى طريقة الاحتفال بالأعياد العامة والمناسبات الخاصة فالاحتفال بشم النسيم واحد فى القريتين وأيضاً يحتفل به الكبار والصغار من الجنسين والغنى والفقير، ونجد أن الاختلاف فى نوعية المعلقات التى تعلق على الأبواب كما سبق القول وهذا راجع إلى نوعية النبات بالمنطقة والمعتقد الخاص به .

كذلك الاحتفال بمناسبات الحصاد للقمح، وجمع البلح واحدة فى القريتين وذلك راجع إلى أن المحصولين كانا هما عماد الحياة فى ذلك الوقت فيهما تستمر الحياة لأن من عائدهما يعقد الزواج، وعليهما يعيش الجميع، وبهما يتواصل ويتحاب الناس، ولما وجدت مصادر أخرى للدخل لتعدد المناشط الاقتصادية حيث لم يعد الاقتصاد قائما على الزراعة فقط بل تعددت أوجه الدخل من التجارة

والصناعة وما يرسله المسافرون للعمل خارج مصر أو خارج الواحات بالإضافة إلى التوظيف فى الحكومة كل هذا قلل من دور القمح والبلح المؤثر فى الحياة وقد حدث ذلك التأثير فى كلا القريتين .

وأيضاً فى حالة آبار المياه نجد نفس الأسباب السابقة بالإضافة إلى أن الجهد الذى كان يبذل فى حفر البئر تضاءل الآن وأصبح حفر الآبار يعتمد على الآلات فلم يعد يشارك الإنسان فى الحفر فلماذا يفرح ؟!

نجد أيضاً أن الاحتفال بالكسوف والخسوف واحد فى القريتين فهو عبارة عن قرع ودعاء فى القصر فقط بالإضافة إلى قرع الطبول وذهاب البعض بملابس الإحرام إلى الجبل للدعاء وهذا لا يحدث فى باريس، أيضاً فى حالة الهواء الشديد ما يحدث فى القصر يحدث مثله فى باريس .

حالة قرع الطبول والأوانى النحاسية وغيرها فى حالات الكسوف والخسوف والهواء الشديد، هل تفسر لنا معتقدا كامنا لم يجب عليه الرواة، وهو أن المتسبب فى حدوث تلك الحالات هى أرواح شريرة (أن هذا الخبط والدعاء إنما هو لطردها هذا مجرد فرض) ولكن يلاحظ أن الالتجاء للدين من قراءة ودعاء هو الوسيلة الوحيدة لدى أهل القريتين لتجنب ودفع الضرر .

ومما هو جدير بالذكر أن الجميع غنى وفقير، كبير وصغير كانوا يقومون بكل الممارسات سواء المتعلقة بالطبيعة، فكانوا يخرجون فى حالتى الكسوف والخسوف وكذلك المتعلقة بالحصاد حيث

يحتفل كل بمحصوله وهنا يكون الاحتفال قاصرا على من يمر أثناء الحصاد، ولا نستطيع أن نقول إن ما يحدث أثناء الحصاد هو احتفال، ولكن يمكن القول بأنه مباركة وتهنئة بالمحصول الجديد وخير يعم من لديه ومن ليس عنده .

والآن أصبحت تمر تلك الأحداث الطبيعية من كسوف أو خسوف أو رياح دون الالتفات إليها، ولكن عند الحديث عنها أو تذكر ما كان يحدث يبتسم الكبار مما عاصروا من الأيام الخوالى ورغم الابتسامة إلا أنهم مازالوا يحملون تجاه تلك الأيام وتجاه ما كان يحدث عشقا وحنينا .

الهــوامــش

١- توجـد مـثل هذه الاحـتـفـالات فى بعض الـدول الأجنبـيـة التى تحـتـفـل قـراها أو محافظاتها احتفالا عاما بمحصول ذى أهـمية لاقتصاد الدولة ويشارك الجميع فى هذا الحفل والذى يكون له موعد ثابت. مثل الاحتفال بعيد حصاد العنب فى هولكو بالمجر فى الأحد الأخير من شهر سبتمبر .

٢- يحتفل المصريون بشم النسيم منذ مصر القديمة وهو عيد يقع فى رأس أو فاتحة سنتهم الزراعية ويقع عند الانقلاب الربيعى أو بعده بقليل، وهو أيضاً اليوم التالى لعيد القيامة وكان المصريون القدماء يحتفلون به كما نحتفل به الآن حيث يخرجون إلى الحدائق وكان الأكل المحبب لهم فى هذا اليوم ومازال الفسيخ والخس والملانة كما كانوا يضعون البصل حول أعناقهم كما علق على أبواب المنازل ووضع تحت الوسائد .

لمزيد من التفاصيل انظر :

تاريخ الحضارة المصرية أ. د. نجيب ميخائيل ، جـ١ د. ت. ص. ص٥٠٩ - ٥١٠ .

تاريخ الحضارة المصرية أ. د. مراد كامل، جـ٢ د.ت . ص ٢٩٧.

وليم نظير ، العادات المصرية بين الأمس واليوم، مصر ١٩٦٧ ص. ص ٥٢ - ٥٦ .

٣- يطلقون عليه فى الخارجة الشمامة وتجهز الأطفال لهذا اليوم قبل حلوله بيومين أو ثلاثة فيحضرون البصل والبيض الذى يقومون بتلوينه .

أحمد حسن إبراهيم، الأصل ش ٦٣٥ و ٢ الخارجة ١٩٧١ ، جمع عبد الحميد حواس .

٤- إبراهيم إسماعيل ، نسخة ٨٠ و٢ ، ١٩٩٢ ، شوقى عبد القوى.

٥- نفسه ، أم عمر مصطفى مهاود، ش ٥ و١ ، ١٩٩٣ ، نفسه.

٦- حتى زمن قريب لا يتعدى عشرين عاما كان البصل قليلا فى القرية فكانوا يضعون تحت رأس كل فرد ورقة بصل لندرته أما الآن فتوضع بصلة كاملة .

أم عمر مصطفى مهاود، نفسه .

٧- إبراهيم اسماعيل، نفسه ، أم عمر مصطفى مهاود ، نفسه.

٨- كان البيض يؤكل ليلة الاثنين وذلك منذ حوالى أربعين عاما . إبراهيم اسماعيل نفسه.

٩- نفسه .
١٠- الدمسيسة نبات له رائحة النعناع وهو ما يعرف بالفلية وهو طارد للعقارب .
حامد سيد حسن، أصل رقم ٦ و٢ / ١٩٩٢ .
١١- يصنع من الخوص على شكل وعاء صغير وله غطاء وهو يشبه المرجونة فى الفيوم .
١٢- اعتاد المصريون القدماء على صب عصير البصل على عتب باب البيت، وليم نظير، مرجع سابق، ص٥٥ .
١٣- آمنه إمام سيد، ٦٢ سنة، القصر، ١٩٩٣، شوقى عبد القوى .
١٤- حامد سيد حسن، نفسه .
١٥- أبو بكر محمد عوض الله، القصر ش ٦٣٤ و١ القصر ١٩٧١، عبد الحميد حواس .
١٦- حامد سيد حسن، نفسه .
١٧- يطلق على كومة الغلة اسم صبرة والغلة اسم يطلق على القمح والذرة والشعير والذرة عندما تجمع توضع فى بورة (جورة) مثل القمح والبورة عبارة عن حفرة فى الأرض توضع فيها الغلة دون فرش أى شيء فى البورة ووضع الغلة فى هذه البورة يحفظها من التسوس، وبالنسبة للذرة، كان قبل وضعه فى البورة يوضع فى المسطاح وهو مكان واسع فى الحقل (الغيط) مسور بالبوص وإذا كانت توجد فئران يسور بالعجول (نبات شوكى) ويستمر فى المسطاح حتى يجف ثم ينقل ليوضع فى البورة .
١٨- المواعين هى الحمارية والحمارية هو الاسم الذى يطلق على القفه وهى من الخوص .عبد المنعم عبد الرحمن، ش٣ و١ ، ١٩٩٣، شوقى عبد القوى .
١٩- أصل حكاية ميشتان للشيخ (أنه جاء إلى باريس من الخارجة ومنذ زمن بعديد رجل سمه الشيخ حنفى وكان رجلاً مباركاً وقام بتعليم الدين والصلاة وخطبة الجمعة وقام بدور المصلح الاجتماعى واتفق أهل باريس على أن يخرج كل جرن ميشتين لهذا الشيخ واستمر الأمر بعد وفاة الشيخ حنفى ولكن أصبح من يأخذ الميشتين هو الكيال مع أنه أثناء كيله يقول ميشتان للشيخ والميشة حوالى ٢,٥ ك والكيلة سبع ميشات .
٢٠- نفسه .

٢١- نفسه .
٢٢- طريقة العد هى أن يبدأ العدد أثناء الكيل بالقول الله واحد، والمكيال الثانى - مالوش ثاني، والثالث العدد ثلاثة ويكمل أربعة، خمسة إلى عشرة ثم يبدأ مرة أخرى من جديد .
٢٣- إبراهيم إسماعيل، نسخة ٨١ و١ / ١٩٩٢، نفسه .
٢٤- إبراهيم إسماعيل، نفسه .
٢٥- حامد سيد حسن، أصل ٦ ، ٢، ١٩٩٢ القصر، نفسه .
٢٦- نفسه .
٢٧- نفسه .
٢٨- نفسه .
٢٩- يذكرنا هذا بما حدث فى ريف مصر عند تكييل الغلة فهو نفس ما يحدث فى الواحات كما تختم كومة الغلة بلوح مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم حتى لا يأخذ منها شيء .
٣٠- نفسه .
٣١- نفسه .
٣٢- نفسه .
٣٣- نفسه .
٣٤- محمود كرار، نسخة ٨١ و١ باريس ١٩٩٢ نفسه .
٣٥- كان البلح يحفظ بوضعه فى جورة في الأرض وذلك بعد لفه ببرش مصنوع من الخوص لحفظه من الرمل .
٣٦- الراوى السابق .
٣٧- إبراهيم إسماعيل، نسخة ٨٠ و٢ باريس ١٩٩٢ ، نفسه .
٣٨- نفسه .
٣٩- نفسه .
٤٠- نفسه .
٤١- حامد سيد حسن س٧ و١ القصر ١٩٩٢ .
٤٢- نفسه .

٤٣- المليم : عملة برونزية والجنيه يساوى ألف مليم وكان للمليم فى ذلك الوقت قدرة شرائية .

٤٤- عبد المنعم عبد الرحمن، ش١٦ و ١ باريس ١٩٩٣ .

٤٥- أحمد سنوسى خلف الله ش٧ و١ ١٩٩٢ القصر، نفسه .

٤٦- عبده محمد، نسخة ص٧٨ ، و٢ باريس ١٩٩٢، نفسه .

٤٧- أحمد سنوسى خلف الله، نفسه .

٤٨- نفسه .

خــاتمـــة

وها قد أن للباحث أن يرغم ذاته على ترك تلك المظاهر المفرحة والاحتفالات المبهجة، وأن يخلو إلى نفسه متأملا فيما مر به عيانا وحكيا ومعايشة باحثا عن التغير الذى حدث ومتوقعا لما يحدث ناظرا إلى مظاهر الاختلاف والتشابه فى ممارسة الاحتفال بين الأفراد أو - العائلات والقريتين وأسباب ذلك، محاولا أن يفسر أسباب ذلك ويحلله فلننظر ماذا كان حصاد تلك المعايشة.

نجد أن لكل احتفال بمناسبة من هذه المناسبات سوء الدينية أو الاجتماعية سمات معينة ومظاهر خاصة بها يعرفها الكبير والصغير فهى تعيش فى وجدانه وفى عقله الباطن، حيث تتم الممارسات تلقائيا ودونما تفكير.

ولا يغيب عنا أنه عندما تذكر كلمة احتفالات يرد على الخاطر المظهر الجمعى للاحتفال كما يحدث فى كثير من الاحتفالات فى أرجاء العالم حيث يجتمع كل أهل المدينة ويشاركون بالرقص والغناء.

ولكن فى احتفالاتنا بمصر خاصة العيدين لا يجتمع جميع أهل القرية أو الحى فى مكان واحد ويمكننا القول بأنها احتفالات لا مركزية ولا مكانية حيث يحتفل بها كل فرد فى منزله بين اسرته

بالإضافة لبعض الزيارات للتهنئة، فيزور ويزار، هناك حركة دائبة في القرية ولكنها حركة فردية أو على الأكثر عدة أفراد وليس لها اتجاه ثابت ولكن لكل فرد أو لكل مجموعة وجهة معينة فالاحتفالية في العيدين مثلا فردية الطابع .

ويتبدى المظهر الاحتفالي في العيدين فيما يرتديه الناس من ملابس جديدة خاصة الصغار وأيضاً في احتواء الطعام على كميات وافرة من اللحوم خاصة في عيد الأضحى ويتميز عيد الفطر بالكعك وكميات أقل من اللحوم .

والتعميم هنا لا يقصد به أن مقادير أو نوعية الطعام والكعك واحدة لدى الجميع، ولكن هناك فرق في نوعية المذبوح والمطهو والمخبوز، يرجع أساسا إلى المنزلة الاجتماعية ودرجة الثراء التي تتمتع بها الأسر. فكلما زاد ثراء الأسرة كلما تنوعت وكثرت اطايب الطعام، كذلك ملابس العيدين تزداد فخامة كلما ارتفعت المنزلة الاجتماعية وزاد الثراء والعكس صحيح، ويصدق هذا على جميع المناسبات الاحتفالية سواء الدينية أو غيرها ويستثنى من ذلك وهي حالة نادرة غني بخيل أو فقير سفيه فالأول يقتر على أهله في هذه المناسبات ويماثل طعامه وملابسه طعام وملابس الفقراء من أهل قريته والثاني لا مانع لديه من الاستدانة أو بيع بعض ما يملك لكي يظهر مثل أصحاب الثراء .

أيضاً عبارات التحية والتهنئة يتجاوب صداها في أنحاء القرية ليس هناك اختلاف كبير في عبارات التحية أو ردها، البشر يسود

الجميع إلا من كان لديه متوف توفى قبل العيد فلا يبدو عليه البشر كالآخرين ولكنه يحظى بمواساة الجميع .

هذه الممارسات الخاصة بالعيدين لم يتناولها التغير إلا فى نوعية الأقمشة المستخدمة وكذلك الاضافات فى أنواع المطبوخات المقتبسة من المدينة سواء فى الخضروات أو اللحوم أيضاً كعك العيد فبالإضافة إلى كعك الواحات الكبير أصبح هناك كعكا أصغر مخبوزا بالسكر والفانيليا وغيرها كما عرفت صناعة البسكويت كل ذلك راجع إلى احتكاك القرية بالمدينة .

قلت كذلك إلى حد ما ظاهرة زيارة القبور صباح العيد أن كان الجميع يتوجه لزيارة القبور بعد صلاة العيد وذلك نتيجة لنصح بعض المشايخ ورجال الدين ويتضح من هذا تأثير رجال الدين .

وإذا تركنا العيدين وانتقلنا إلى المناسبات الدينية نجد أن هناك بعض المناسبات التى أصبح لايحتفل بها أو أصبحت تمر دون أن يلتفت الأغلبية إليها وهى رأس السنة الهجرية وجمعة رجب .

ويلاحظ أن كثيرا من المناسبات الدينية أصبحت لاتعرف مواعيدها إلا من خلال أجهزة الاعلام. وهو ما يشير إلى الدور الذى احدثته هذه الاجهزة فى حياة الناس، حيث أصبح الاعتماد عليها كبديل لذاكرة الجماعة كما أثر بالسلب على قيام تلك الذاكرة بدورها الطبيعى الذى اعتادت عليه على مر العصور، كما قامت تلك الأجهزة بالدفع ناحية التمرد أو التخلى عن الممارسات الاحتفالية لرجب وعاشوراء وغيرهما من الاحتفالات الأخرى،

حيث كانت تلك الاحتفالات تؤدى دورا مهما فى ملء وقت الفراغ والتسلية بالإضافة إلى تعميق أواصر الود بين الناس. وقد قامت تلك الأجهزة بأشباع الميل إلى التسلية، فكان الانحياز إلى برامجها المتنوعة على حساب ممارسات الجماعة مما أدى إلى أضعاف التواصل والتواد بين الجماعة .

والسمة الأساسية فى المناسبات الدينية هى تواجد اللحوم فى الطعام سواء كانت لحوما أو طيورا وأيضاً تجمع الأسرة أثناء تناول وجبة العشاء بالذات ويرجع هذا إلى أن أغلب أفراد الأسرة يكونون فى أعمالهم أثناء فترة الغذاء ولهذا يصعب تجمعهم، لذلك فالوجبة الرئيسية هى العشاء. ويأتى تواجد اللحوم وبكثرة فى هذه المواسم من منطلق القول المأثور «من وسع على عياله وسع الله عليه فى الرزق» .

أيضاً التكافل الحادث بين القدار وغير القادر فى هذه المناسبات من حيث إرسال القادر للطعام لغير القادر، فالفقير هنا لا يغيب عن أعين الناس فهو فى القلب .

وربما يندهش البعض من اعتبار أن التوسعة مقترنة بتواجد اللحوم فى الطعام، ولكن إذا عرف أن هذه المجتمعات مجتمعات فقيرة فى الأغلب الأعم وأن كثيرا من أهلها لا يأكلون اللحوم إلا نادرا كما فى قرى وادى النيل لأدرك قيمة اللحوم فى هذه المجتمعات.

يلاحظ أن المظهر الاحتفالى الملحوظ فى هذه المناسبات هو كثرة الطعام، عبارات التهنئة، ازدحام الجوامع فى صلاتى المغرب

والعشاء، إحياء بعض الأفراد للمولد في ليلتي مولد النبي، ٢٧ رجب واقامة ولائم في هاتين المناسبتين كما سبق ذكره. كما وجدت حلاوة المولد والحمص في المولد النبوى .

أيضاً هناك عادة في القصر ولكنها ل تمارس بصورة جماعية بين أهل القصر ولكنها تتسم بالتفرد، حيث تتولاها أسرة واحدة بالقصر وهى عملية صنع اللخبطية وهى عادة قديمة وتوارثت داخل هذه الأسرة، والمشاركة الجماعية تتبدى في تناول معظم أهالى القصر للخبطية وقد كانت هذه العادة موجودة في مصر الإسلامية .

استمر أيضاً المظهر الاحتفالى كما هو إلى حد كبير وإن اختفت بعض المظاهر كاستطلاع الهلال وانتظار الآذان، وعرف الناس أطعمة جديدة كالكنافة والقطايف والفول، كما تعلموا أساليبا جديدة في الطهى، وتصدق الأخيرة على كل المناسبات وكذلك الحياة اليومية .

يلاحظ الدور الأساسى للشعرية في المائدة الرمضانية أو الاحتفالية - عموما في الواحات ويبدو أنها كانت لها نفس مكانة الأرز في مائدة وادى النيل، ولما انفتحت الواحات وتيسرت سبل المواصلات بينها وبين وادى النيل بالإضافة إلى انتشار زراعة الأرز في الواحات أخذ الأرز مكانة الشعرية الآن .

ولم يحدث تغير يذكر بين ما كان يحدث سابقا والآن سوى في نوعية الطعام من حيث الطهو والتنوع، واستجدت وسائل جديدة تستعمل في عملية الطهو فبدلا من الفرن والكانون استخدمت المواقد والأفراد الغازية .

إذن يمكننا القول أن المظهر الاحتفالى للمناسبات الدينية هو ضرورة احتواء الطعام على اللحوم، كذلك مظاهر التكافل والتواد والتراحم بين الناس، وتفتقر تلك المناسبات إلى مظهر الاحتفال الجمعى، فالاحتفال بتلك المناسبات احتفالات فردية أو أسرية وربما لا يشعر بها الصغار وبعض الكبار وتمر كأى يوم آخر ويستثنى من هذا شهر رمضان حيث يشارك الجميع صغارا وكبارا بالاحتفال بشهر رمضان .

من هذا نجد أن الاحتفالات بالعيدين والمناسبات الدينية لا تشتمل على احتفال جمعي يشارك فيه الجميع ولكن نستطيع أن نقول إذا صح التعبير «أن الاحتفال بهذه المناسبات احتفال أسرى يغلقه شعور جمعي بمناسبة الاحتفال» فكل أسرة تحتفل بالمناسبة فى بيتها بالطريقة السابق ذكرها .

نأتى إلى نوع آخر من الاحتفالات الخاصة بالأعياد العامة[1] والمناسبات الخاصة ويعتبر شم النسيم هو العيد العام الوحيد الذى يحتفل به المصريون والغير مرتبط بمناسبة دينية ما، أما المناسبات الخاصة فهى احتفالات الحصاد وخروج بئر والكسوف والخسوف وهبوب هواء شديد.

وشم النسيم عيد مصرى قدم استمر الاحتفال به متواصلا منذ التاريخ المصرى القديم حتى الآن، وإن اضمحل المظهر الاحتفالى به، واختفت إلى حد ما بعض الممارسات التى كانت تصاحبه، وخلال حقب الزمان المختلفة لم يتغير المظهر الاحتفالى بشم النسيم

فالخروج إلى الحدائق وتناول الفسيخ والبيض الملون هى السمات الواضحة فى ممارسات ذلك العيد ، وهذه الممارسات لا تتضح منها الفروق الطبقية بين الناس فى الواحات ، فأصناف الغذاء تقريبا واحدة عند الجميع ، والحدائق والحقول منتشرة وحاجة الناس إلى الانطلاق والتجمع متأججة ، ويختلف هذا العيد عن غيره من الأعياد والمناسبات الدينية السابق ذكرها فى أمر مهم وهو أن شم النسيم لا تذوب فيه الخلافات أو تداوى الجروح بين الأفراد كما يحدث فى المناسبات السابقة خاصة العيدين .

أما احتفالات الحصاد والخاصة بمحصولى القمح والبلح فترجع لأهميتها الاقتصادية لأهل الواحات ، فهما رأس المال المتوج الذى تنقضى به الحاجات ويتم التعامل بواسطتها فهما بديل النقد ، وللأهمية الاقتصادية والحياتية لهذين المحصولين فقد احتفى بهما احتفاء كبيرا وهذا الاحتفاء لا يتم فى موعد محدد بالنسبة لأهل القرية ، ولكن يتم حسب موعد تخزين المحصول لدى كل فرد .

واحتفالات الحصاد ليس بها من مفهوم الاحتفال أى مظهر فلا يوجد تجمع ما أو غناء أو رقص أو ملابس جديدة أو طعام يؤكل ، ولكن لما يصاحبها من مظاهر البشر لدى الكافة ، لأن من يحصد يكون فرحا ومن لديه يعطى لمن ليس لديه كما يتقاضى المهنيون أجورهم فالفرحة ليست خاصة بصاحب المحصول فقط ولكنها تشمل الجميع ، ولا تظهر الفروق الطبقية فى مظاهر الاحتفال فالممارسات واحدة عند صاحب المحصول الوافر وصاحب المحصول

القليل .

واختفت الآن البهجة بهذين المحصولين حيث فقد أهميتها الاقتصادية فقد تنوعت مصادر الدخول كما ظهر حاصلات جديدة، وكثرت هموم الناس حيث تعقدت الحياة وتزايدت تطلعاتهم فأنعكس هذا على الصفاد النفسي الذى كانوا يشعرون به قبل ذلك ويبدو ذلك فى حديث الناس جليا وفى ثنايا البحث .

والاحتفال الخاص بالجماعة صاحبة المصلحة ينطبق فقط على استخراج المياه من البئر، فيحتفل به المستفيدون فقط من هذه المياه وربما يدعى أحد للمشاركة، ولكن الفرحة لا تعم القرية، وبعنى آخر لا يشارك أهل القرية جميعهم فى هذا الاحتفال الغير معروف - موعده بالتحديد .

أما احتفالات الكسوف والخسوف والهواء الشديد فهى احتفالات لطرد شر موجود أو منع كارث من الحدوث، حيث كان أهل القرية يجهلون خاصة فى حالتى الكسوف والخسوف التفسير العلمى لهذه الظواهر، فكانوا يعتقدون أن الكسوف والخسوف غضب من الله أو عمل من أعمال الشيطان والأرواح الشريرة ولذلك كانوا يحدثون أصواتا عالية بواسطة الطبول لطرد هذه الأرواح وابطال أعمال الشيطان. ونجد أن طرد الأرواح الشريرة بالطرق كان موجودا فى مصر القديمة وكان يقوم بذلك الإله بس الذى كان الطرق وسيلته لطرد الأرواح الشريرة[٢] ويستخدم الطرق أيضاً لنفس السبب عند بعض القبائل البدائية فى أفريقيا .

أما أهلّ القصر فكان يرتدى منهم أربعة رجال أو خمسة، ملابس الاحرام ويصعدون إلى الجبل المجاور للقرية ويصلون هناك وبعد الصلاة يطبلون فوق علب من الصفيح أو قطع من الصفح مع تلاوة القرآن الكريم .

ولايحدث ذلك الآن سواء فى باريس أو فى القصر بعد أن اتسعت مدارك الناس وعرف أسباب الخسوف والكسوف .

يبقى الأمر الطريف وهو اختلاق مناسبة للاحتفال فى القصر وذلك فى حالة عدم وجود مناسبات لفترة طويلة يدل ذلك على رغبة الأهالى فى الفرح والاحتفال لقطع رتابة الحياة .

إذن نستطيع القول بأن هذه الاحتفالات قد اختفت عدا احتفال شم النسيم الذى اضمحل أيضاً واختفت بعض مظاهره، وأن اختفائها ناتج لفقدان القيمة الاقتصادية لمحصولى البلح والقمح، ولزيادة وعى الناس واتساع مداركهم فى حالتى الكسوف والخسوف والهواء، ووجود الوسائل البديلة كالتليفزيون وسهولة السفر والتى تغنى عن مناسبة فى الحالة الأخيرة .

وهناك أيضاً مناسبات دينية شعبية (الموالد) يحتفل بها وكل احتفال بمناسبة يختلف عن الآخر فى المظهر والسبب ومدى المشاركة وأيضاً حرية الاختيار فى المشاركة أو عدم المشاركة.

والاحتفال بالموالد يكون احتفالا بالولى الغائب الحاضر - الغائب جسدا وروحا والحاضر فى عقول المحتفلين به ووجدانهم، وهذا الاحتفال معروف موعده مسبقا ويشارك فيه من يرغب ويفد إليه

إناسا من خارج القرية للمشاركة فى الاحتفال .

والأمر الملفت للنظر أن باريس لا تحتفل بأى ولى رغم وجود مقامات بها لبعض المشايخ، ويقتصر الأمر على تقديم نذر أو خلافه لهذا الشيخ أو ذاك ويرجع ذلك فى رأى الباحث إلى تأثر باريس بتعاليم المهدية[٣] فى السودان فكما نعلم أنها كانت مركزا من المراكز المهمة فى طريق درب الأربعين القادم من السودان إلى مصر وعلى هذا الطريق كان يفد أهل السودان فضلا عن وصول بعض السودانيين إليها واقامتهم بها .

ونجد أن أهالى القصر كانوا إلى حوالى عقدين من الزمان يحتفلون بمولد الشيخ مباز ولكن اختفى ذلك الاحتفال الآن ويرجع سبب ذلك كما يرى الباحث إلى زيادة الوعى الدينى - وتعدد اهتمامات الناس فضلا عن فقد بعض المعتقدات الخاصة بكرامات بعض الأولياء لدورها نتيجة لازدياد الوعى .

واحتفال المولد الوحيد الذى يقام بالقصر هو احتفال بمقام سيدى عبد الرحيم القنائى مع العلم بأن مقام سيد عبد الرحيم يوجد بقنا وهو من أشهر أولياء مصر، ولكن يقام له هذا المولد بفاخورة القصر بأعتباره شيخ صنعة الفخار، فهو احتفال يقام تبركا وتيمنا بشيخ الصنعة .

والمشاركة فى احتفالات الموالد اختيارية فلا يحتفل كل أهل القرية ولكن من يرغب فى المشاركة فليشرك سواء بالذكر أو الإنشاد والمساهمة المادية، أو من نذر ندرا لهذا الولى وتحقق ما نذر له

وهناك الاحتفاء بمن هو ذاهب لتأدية فريضة دينية هى الحج، حيث يشارك جميع أهل القرية فى الاحتفال بالحاج قبل ذهابه إلى الأراضى المقدسة وعند عودته من تلك الأراضى. واحتفال الحج هو الاحتفال الوحيد الذى يمكن أن نطلق عليه الاحتفال الإعلانى، حيث أن من مظاهر هذا الاحتفال هو الرسوم الجدارية التى تعلن عن قيام فلان بالحج وتاريخ حجته وبعض الدعوات الصالحة له وهذه الزيارة تمنح صاحبها لقب الحاج فلا ينادى إلا به، وهذا اللقب يرفعه درجات فى أعين الناس .

والحج من المواسم التى تحدث رواجا لدى الحرفيين حيث تجدد بيوت الحجاج وتدهن والاحتفال بالحاج هو الاحتفال الذى يشارك فيه جميع أهل القرية واحدا منهم فرحته دون دعوة، كما يقوم المتوجه إلى الحج بزيارة جميع أو أغلب أهل القرية طالبا مسامحتهم فيما إذا كان قد بدر منه شيء يسيئهم .

ويلمس المرء - أو من يزور القرية فى موسم الحج - حالة من الابتهاج والفرح والصفاء كما أن أحاديث أهل القرية طوال فترة الحج وقبلها وبعدها تدور حول الحجاج وأحوالهم وأخبارهم وتوجد رغبة لدى الجميع فى أن يتمكنوا من أداء الفريضة فى العام التالى .

أما الاحتفال الذى يكرس قيمة العلم، فهو الخاص بمن حفظ جزءا من القرآن الكريم أو ختم القرآن الكريم، وربما يتبادر إلى الذهن أنه احتفال سببه أن المحتفى به حفظ جزءا أو أجزاء من القرآن الكريم

فقط. ولكن الواقع أن حفظ القرآن الكريم صحبه معرفة الحافظ للقراءة والكتابة، وهذا يرفع من قدره فى مجتمع القرية .

ونلاحظ أنه فى أغلب تلك المناسبات تتبادل الهدايا بين الأفراد خاصة الأقارب والجيران والأصدقاء، وقبل أن نعرض لما تحمله الهدية فى اعطافها من معنى نعرض لرأى موسى حيث يرى أن «للهدايا دورة ذات ثلاث أبعاد يتوقف عندها استمرار الهدية، هذه الدورة هى العطاء، القبول، الرد وأن التهادى يحقق تقوية العلاقات القائمة بين الأفراد والجماعات(٤).

ونجد أن هذا الرأى وبالتحديد فى مقولة العطاء، القبول، الرد ينطبق على بعض الحالات، وحالات أخرى لا تتفق مع هذا التحليل .

ففى المناسبات الدينية وغيرها كالأعياد ومولد النبى وعاشوراء ومناسبات الحصاد وغير ذلك لا ينتظر المهدى رد هديته، إذ يغلب عليها التواد والرحمة والتكافل، فالقادر يرسل لغير القادر أو العائل يرسل لمن يعولهم وأيضاً من يرسل هدية رغبة فى الخير وفى اكتساب ثواب لا ينتظر لها ردا، وأيضاً من يهادى ابناءه أو ابناء اخوته. فالدورة هنا ثنائية تقتصر على العطاء والقبول .

وينطبق رأى موسى على الاحتفالات الأسرية كالسبوع والطهور والزواج فمن يقدم نقوطا فأنه ينتظر رد هذا النقوط سواء كانت نقودا أو أشياء عينية .

وينطبق ما سبق على قوة العمل فمن يقدم قوة عمله ليساعد أحدا فى زراعته أو عمله فعلى الآخر أن يرد هذه المساعدة وإذا لم

يكن باستطاعته رد هذه المساعدة بنفسه لأى سبب من الأسباب فأنه يرسل أحد أولاده نيابة عنه .

ونلاحظ أيضاً أن لتشابه العوامل الجغرافية والايكولوجية بين كلا من باريس والقصر ، كان التشابه بالغا إلى حد كبير فى كثير من الممارسات الاحتفالية كالمناسبات الدينية والاحتفال بمناسبات المسيحيين الدينية ، ويأتى هذا التشابه أيضاً كمردود للبيئة الجغرافية فى الاحتفاء بمحصولى القمح والبلح وبخروج المياه من بئر يحفر وذلك لما يؤديه القمح والبلح والمياه من دور مهم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

ومع ذلك توجد بعض الاختلافات البسيطة سواء فى بعض الممارسات وبعض التسميات ، ويرجع ذلك كما نرجح إلى الاختلاف فى الأصول السكانية كما يتضح من التاريخ الشفاهى للقريتين والجانب الأكثر أثراً هو التأثيرات الثقافية المختلفة التى خضعت لها كل قرية . فنجد أن احتكاك باريس بالجنوب أقوى فهى معبر التجارة الوافدة من السودان إلى مصر بالعكس ، بينما كان احتكاك القصر بالغرب أقوى وتأثير السنوسية أوضح وقد وجدنا من بين أهل القصر من يتفاخر بانتسابه إليهم .

افتقدنا أيضاً خلال البحث الميدانى أية مظاهر خاصة باحتفالات شعبية لأعياد ومناسبات قومية أو محلية أو فئوية أو عسكرية قررتها الدولة .

فلا يحتفل الناس على سبيل المثال وليس الحصر بأعياد أو

مناسبات الجلاء أو المحافظة أو القوات المسلحة أو العمل وغيرها من أعياد تقررها الدولة .

نخلص من هذا إلى أنه لكى تحظى مناسبة ما باحتفال شعبى بها فلابد من أن تكون تلك المناسبة ذات طابع دينى غالبا ، وأن يرى الناس ضرورة الاحتفال بها ، ويصدق هذا أيضاً على المناسبات الغير دينية ، والتى نمت بين أفراد الشعب ، ويرجع ذلك غالبا إلى أن تلك المناسبات بالتأكيد هي نتاج لتفاعلات بين العادات والمعتقدات والديانة السائدة والمنفعة والميراث الثقافى ، لذلك تعتبر المناسبة فى تلك الحالة نبت الشعب فلهذا يحتفى بها ويحافظ عليها ، وهذا أيضاً ما أعطاها الاستمرارية عبر حقب الزمان .

وفى المقابل نجد أن ما تفرضه الدولة من مناسبات لا يشعر با أحد وإذا احتفل بها فعلى المستوى الرسمى ، فليست هناك فرحة تحتويها أو روح تنبض فيها وذلك لأن وظيفة تلك الاحتفالات التى تفرض من أعلى هى غالبا لاضفاء صفة الشرعية على أصحاب الحكم نتيجة لانقلاب أو ثورة أو ميراث أو خلق مناسبة لتمجيدهم ولذلك فهى تولد ميته ، ويلاحظ أيضاً أن تبنى الحكومة لأى احتفال حتى ولو كان احتفالا شعبيا يقتل هذا الاحتفال وليس أدل على ذلك من احتفال وفاء النيل الذى استمر الآف السنين احتفالا شعبيا وعندما تبنته الحكومة لم يشعر به أحد .

والسبب فى ذلك على الأرجح يرجع إلى أن الشعب الواعى يدرك أن هذه المناسبات صيغت أو وضعت للتكريس لفكرة أو لدعاية أو

لعدم اتجاه ما . بالإضافة إلى أن هذه الاحتفالات الحكومية ليس وراءها عادة أو معتقد أو وظيفة خاصة بجموع الشع ، وإن كان لها وظيفة فهى خاصة بالسادة مبتدعيها ولذلك فالنتيجة معروفة سلفا . فما لا ينبته الشعب فلا أرض تصلح له .

وهذا ما نلمسه ، فالاحتفالين اللذين استمر طوال حقب التاريخ هما احتفالين ابتدعهما الشعب واحتفل بهما ، ولذلك استمرا شم النسيم ووفاء النيل الذى لم يعد يحتفل به الشعب ، نظرا لتدخل الحكومة فيه ومحاولة تنظيم الاحتفال به .

والاحتفالات الشعبية تؤدى دورا هاما فى الترفيه عن الناس فى تلك المناطق وفى كسر حاجز الملل الذى يصيبهم من رتابة الحياة ، كما تؤدى دورا اجتماعيا هائلا فى تساند الناس وتكاتفهم ، وأيضاً تساعد فى تقريب المسافات بين الأفراد .

وقد ابتدأت هذه المظاهر الاحتفالية فى الانحسار الآن وذلك نتيجة للغزو الاعلامى وسيطرته على عقول الناس وأوقاتهم ، وقد عايش كاتب هذه السطور مراحل التغير هذه حيث بدأ زيارته للواحات قبل هذا الغزو ، فى عام ١٩٨٤ ، واستمرت زيارته تتوالى بعد الغزو لمدة خمسة عشر عاما ، ورغم قصر الفترة زمنيا إلا أن التغير كان واضحا .

فقد قلت المظاهر الاحتفالية بالمناسبات بل واهملت بعض المناسبات ومناسبات أخرى تمر لا يشعر بها الجميع ، وبالتالى قل الترابط بين الناس ، فالكل عنده وسيلة للتسلية المرئية فلم يعد لديه

حاجة للاخر، بل أن البعض ينظر إلى هذه المظاهر بأذدراء والآخر ينكرها ويتعالى عليها. ولذلك قل التماسك والترابط بين أهل القرية بل بين أفراد الأسرة فبعد أن كانت الجماعية هى سمة الحياة غلبت الان الفردية .

لذلك يجب على الدولة أن تعمد من خلال اجهزتها إلى الترويج لتلك المناسبات، فالاحتفالات وسيلة مهمة لزيادة التماسك والترابط بين الناس فهى المناسبة الوحيدة التي يجتمع الناس للاحتفال بها كما يحدث فى شم النسيم والأعياد .

فمن المهم أن يتعود الناس على للتجمع لأمر أو هدف ولا يوجد هدف يدعو الناس إلى التجمع أكثر من الاحتفالات، حيث تزال الحواجز وتزداد الروابط بين الناس. ومهم أيضاً أن يكون الاحتفال بمناسبة شعبية يحتفل بها الكافة مثل شم النسيم، وليس احتفالا بمناسبة دينية فيقتصر الاحتفال على فئة دون الأخرى .

ويجب أن نعى حقيقة مهمة وهى أن الاحتفالات الجمعية تزيد من تماسك أفراد الشعب وترابطهم وتوحدهم، هذا التماسك الذى صهره فيضان النيل حينما كان الناس يتعاونون على دفعة، وزاده صلابة الميراث المشترك فى العادات والمعتقدات بالإضافة إلى الحدود الجغرافية المانعة .

والآن يمكننا القول بأن الكل مجتمع أعياده واحتفالاته التى يركن إليها لينسى همومه واحزانه وينطلق مكسرا قيود الاعراف والتقاليد متحررا من رتابة الحياة اليومية ومللها، ليعبر عن فرحته

وسعادته مصالحا وصافحا عمن خاصمه قبل ذلك .

كان هذا إلى الأمس القريب ولكن زال الآن كثيرا من بهجة الأعياد والاحتفالات التى عرفناها صغارا وما بقى يبدو أنه فى طريقه إلى الزوال، وهكذا نفقد مع توالى الأيام أشياء جميلة عايشناها وعشناها .

ولكن ماذا عن الاحتفالات فى المستقبل فى ضوء ما عايشناه طوال ما يزيد عن عشر سنين فى الواحات وأكثر من ذلك فى المدينة والريف ؟ نجد أن هناك ظلال قاتمة تغلف هذه المناسبات تدريجيا ، وأن كثيرا من مظاهرها تقل بصفة مستمرة .

ففى الواحات وقرى مصر ومدنها كان للاعلام والتعليم والإلحاح فى طلب المادة أثر كبير فى هذا . ويزيد على ذلك فى المدن تلك الحوائط الخراسانية المرتفعة والتى تسمى ابراجا والتى لا يعرف ساكنوها بعضهم البعض ، كذلك الازدحام الرهيب فى الشوارع والأماكن المختلفة كل هذا وغيره من ضغوط الحياة لا يسمح للمرء أن يجتمع بغيره ، كما تجعله فى حالة هروب دائم من نفسه ومن المجتمع ومن الشارع ومن المنزل . كل ذلك بالإضافة إلى الاعلام الفاقد الهوية الذى يؤثر على الجماعة ويضعف من الرغبة لدى الناس فى التجمع حتى فى المناسبات الاحتفالية .

فهل يقف تاريخ الأعياد عند هذا الحد وهذا هو الغالب لأن هذه المدن العملاقة والحياة الميكانيكية تشكل عائقا يعترض المناسبات الاحتفالية ويقف أمام تيار التواصل ويعوق اندماج الأفراد مع

بعضهم على نحو يحقق ازدهار الاحتفالات الجمعية.

وإذا فلنعى تلك الحقيقة ولتبادر الجهات المعنية برصد مظاهر الاحتفالات المختلفة في مدن مصر وقراها قبل أن تصبح ذكرى لا تجد من يستطيع استرجاع أحداثها، فقد ضاعت مع اهمالنا نحن أصحاب هذا التراث ومع ضياعها ضاعت معالم هويتنا .

هذا أضعف الإيمان أما اقواه فهو أن نعيد احياء تلك الخيوط التى تخللت جموع الشعب فزادت من وحدته وجعلته نسيجا متماسكا سدا أفراد الشعب ولحمته الموروث الثقافي وعلينا أن نعيد جذورنا إلى الأرض مرة أخرى لمواجهة مايدبر لتغريب الشعب المصرى وطمس هويته، ومما لا شك أن للاعلام القدر المعلى فى ذلك، عليه فقط أن يبث اعلاما مغايرا لما يبثه الآن .

الهـوامـــش

١- الأعياد العامة : هى المناسبات التى يحتفل بها الشعب بجميع فئاته وطوائفه صغارا وكبارا، نساءا ورجالا .

٢- محيط الفنون التشكيلية، جـ١، مصر، بدون تاريخ، ص.٦٩ - ص٧١. معجم الحضارة المصرية القديمة، مادة بس، مصر ١٩٩٢ .

٣- كان المهدى يتشدد فى الالتزام بالنص الذى جاء به القرآن وما ورد صحيحا عن الرسول صلى الله عليه وسلك فالقرآن وصحيح السنة هما الحكم الوحيد فى تقرير الحكم الشرعى .

ومن منشورات المهدى :

١- منه الاستعانة بغير الله ولو كان نبيا رسولا .

٢- ألا يطلبوا من رجل صالح شيئا

٣- اعتبار أى عمل من هذه الأعمال شركا .

د. عبد الودود إبراهيم شلبى، الأصول الفكرية لحركة المهدى السودانى، ص٢٠٨، ص٢١٧ .

٤- السيد حامد (دكتور) النظرية الأثربولوجية، مصر ١٩٩٦، ص ٣٥ .

إصـــدارات مكتبة الدراسات الشعبية

مـــن يناير ١٩٩٦ إلـــى ديسمبر ٢٠٠٠

١٧ – الحكاية الشعبية .... د. عبد الحميد يونس
١٨ – خيال الظل .... د. عبد الحميد يونس
١٩ – الأزياء الشعبية والفنون فى النوبة .... سعد الخادم
٢٠ – الفن الإلهى .... محمد فهمى عبد اللطيف
٢١ – النيل فى الأدب الشعبى .... د. نعمات أحمد فؤاد
٢٢ – الفولكلور فى العهد القديم جـ١ .... تأليف : جيمس فريزر
ترجمة : د. نبيلة ابراهيم
٢٣ – الفولكلور فى العهد القديم جـ٢ ...... تأليف : جيمس فريزر
ترجمة : د. نبيلة ابراهيم
٢٤ – الفولكلور فى العهد القديم جـ٣ ...... تأليف : جيمس فريزر
ترجمة : د. نبيلة ابراهيم
٢٥ – حكاية اليهود .... تأليف : زكريا الحجاوى
٢٦ – عجائب الهند .... تقديم يوسف الشارونى
٢٧ – حكاية اليهود ط ٢ .... زكريا الحجاوى
٢٨ – الحُلى .... د. عبد الرحمن زكى
٢٩ – أبو زيد الهلالى .... محمد فهمى عبد اللطيف
٣٠ – السيد البدوى ودولة الدراويش..... محمد فهمى عبد اللطيف
٣١ – التاريخ والسير .... د. حسين فوزى النجار
٣٢ – خيال الظل .... د. ابراهيم حمادة
٣٣ – فرق الرقص الشعبى فى مصر .... عبير السيد
٣٤ – مباحث فى الفولكلور .... محمد لطفى جمعة
٣٥ – نجيب الريحانى .... عثمان العنتبلى
٣٦ – عالم الحكايات الشعبية .... فوزى العنتيل
٣٧ – الزخارف الشعبية على مقابر الهو .... محمود السطوحى
٣٨ – الفولكلور ما هو ؟ .... فوزى العنتيل
٣٩ – سيرة الملك سيف بن ذى يزن .... المجلد الأول
٤٠ – سيرة الملك سيف بن ذى يزن .... المجلد الثانى
٤١ – سيرة الملك سيف بن ذى يزن .... المجلد الثالث

٤٢ - سيرة الملك سيف بن ذى يزن .... المجلد الرابع
٤٣- سيم العشق والعشاق .... أحمد حسين الطماوى
٤٤- كتابات فى الفن الشعبى.............................. حسن سليمان
٤٥- المأثورات الشفاهية .... تأليف : يان فانسينا
ترجمة : د. أحمد مرسى
٤٦- بين الفولكلور والثقافة الشعبية .... فوزى العنتيل
٤٧- الشعر البدوى فى مصر- ج١ - .... صلاح الراوى
٤٨- الشعر البدوى فى مصر- ج٢ - .... صلاح الراوى
٤٩- الطفل فى التراث الشعبى. .... د. لطفى حسين سليم
٥٠- تغريبة الخفاجى عامر العراقى............................ باسم حمّودى
٥١- الفولكلور.. قضاياه وتاريخه......... تأليف : يورى سوكولوف
ترجمة : حلمى شعراوى - عبد الحميد حواس
٥٢- الأسطورة والإسرائيليات .... د. لطفى سليم
٥٣- البطل فى الوجدان الشعبى .... محمد جبريل
٥٤- الاحتفالات الدينية فى الواحات .... د. شوقى حبيب



رقم الإيداع : ١٨٦٨٦/ ٢٠٠٠

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقا)

البحث في العادات والتقاليد
الموروثة عند طوائف من المجتمع
المصري، سواء في شماله أو جنوبه،
أو في واحاته، له أهمية كبيرة جدا،
فهو على الأقل يضع لنا الشخصية
المصرية في جذورها العميقة. وفي
هذا التأصيل (للمصرية) وتعميق
محتواها الإنساني والتاريخي
والفلسفي، كما أنه يربط البلاد
بعضها برباط أقوى.

والدكتور شوقي عبد القوي
يقدم لنا في هذا الصدد بحثا تستمتع
بلغة سلسة وأسلوب [illegible]
ونعتقد أن بعد قراءتنا [illegible]
الدراسة ما وجدناه نحن من [illegible]
وفائدة..